رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

أبو عمر أحمد بن حربون

من شعراء الأدب التاريخي في الأندلس

د. عبدالله بن علي بن ثقفان

كتاب
المجلة
العربية
209

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

أبو عمر أحمد بن حربون

من شعراء الأدب التاريخي في الأندلس

بقلم:
د.عبدالله بن علي بن ثقفان

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

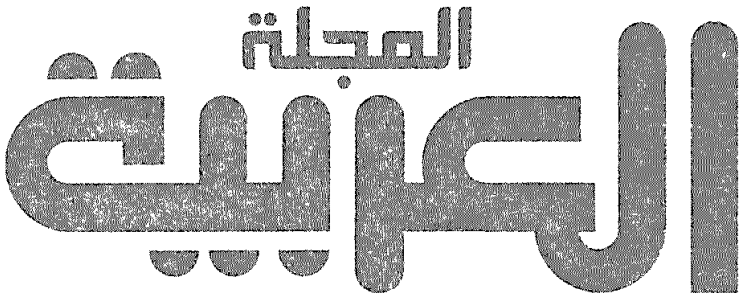

رئيس التحرير
د. عبدالله نعمان الحاج

الرياض - طريق صلاح الدين الأيوبي (الستين) - شارع المنفلوطي
هاتف: 4778990 - 4779792 فاكس: 4766464
ص.ب 5973 الرياض 11432
المملكة العربية السعودية

www.arabicmagazine.com-info@arabicmagazine.com

ح المجلة العربية، 1435 هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
ابن ثقفان، عبدالله بن علي
من شعراء الأدب التاريخي في الأندلس: أبو عمر أحمد بن حربون./ عبدالله بن علي بن ثقفان.- الرياض، 1435هـ
80ص؛ 14×21سم- (كتاب المجلة العربية؛ 209)
ردمك: 978-603-8138-79-3
1 -الأندلس- تراجم 2 -الشعر العربي- الأندلس- عصر الموحدين 3 -الشعر العربي- الأندلس أ.العنوان ب.السلسلة
ديوي 920 1435 / 2019

رقم الإيداع: 1435/2019
ردمك: 978-603-8138-79-3

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المحتويات

من شعراء الأدب التاريخي في الأندلس: 7
شعر (ابن حربون): قراءة في المتاح 22
شعر الشاعر بين قراءة الذات، وقراءة الآخر 41
دراسة شعر (ابن حربون) 44
أوزانه: 65
معجمه الشعري 66
المعجم الشعري ودوره في تكوين الصورة 69

• **فهرس المصادر والمراجع**

أولاً: الكتب 73
ثانياً: البحوث 77
ثالثاً: الرسائل العلمية 77

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

من شعراء الأدب التاريخي في الأندلس: أبو عمر أحمد بن حربون[1]

ينتمي (ابن حربون) لمدينة شلب، وهي مدينة مشهورة بالأدباء[2]، تقع في أقصى الجنوب الغربي للأندلس بين كنيسة (الغراب) وشنتمرية الغرب (الفارو Faro)[3]، مبناها على نهر يمدّ من البحر المحيط..[4]، قال العذري عنها: «لها بسيط يتسع وبطائح تنفسح، وبها جبل عظيم منيف كثير المسارح والمياه...»[5]، وهي اليوم في بلاد البرتغال وتسمى Silvos ، أو Silves [6]، قال الشاعر: [7]

ذكرتني شلباً، وهيهات مني

بعدما استحكم التباعد شلب!!

---

(1) حربون على وزن (فعلون)، وصيغة فعلون في العربية الفصيحة تأتي للتصغير والتحبب وقد تأتي للتحقير نحو (كلبون) أما في الإسبانية فتزاد (الواو) للتعظيم. انظر تاريخ العلم عند العرب، هامش ص 242.

(2) انظر: المغرب في حلى المغرب، ج1، ص 381، وانظر معجم الأدباء، ج3، ص 357 - 358.

(3) انظر: خارطة الأندلس أيام الخلافة في كتاب: جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب (المسالك والممالك)، بين صفحتي 64، 65، وانظر ما كتب عن (الكنيسة) في (الحلل السندسية في الآثار والأخبار الأندلسية)، م1، ص 87.

(4) من: المغرب في حلى المغرب، ج1، ص 381.

(5) من: آثار البلاد وأخبار العباد، ص 541 وهو كلام العذري وكذلك الإدريسي والحميدي. انظر: الحلل السندسية..، م1، ص 87، وانظر: صفة جزيرة الندلس منتخبة من كتاب (الروض المعطار في خبر الأقطار)، ص 106.

(6) انظر: زاد المسافر..، هامش ص 129، وانظر: النفح، ج1، هامش ص 184، وانظر: جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب (المساك والممالك)، الخارطة بين صفحتي 64، 65، وانظر: الحلل...، م1، ص 45.

(7) انظر: النفح، ج1، ص 184، وانظر: الحلل...، م1، ص 221، والشاعر هو أبو عمرو بن مالك بن سيدمير.

كانت (شلب) أيام الدولة الإسلامية في الأندلس دار ملك كورة (أشكونية)[1]، ولذا نجد أن ابن سعيد قد سماها في مغربه بـ(مملكة شلب)[2]، وهي مملكة تجاور مملكة إشبيلية وإليها تعود قريتي شنبوس ورماده، ومدن شنتمرية والعليا وقسطلة.[3]

ولأنها دار الملك، فقد كانت «حسنة الهيئة، بديعة المباني، مرتبة الأسواق، يسكنها عرب من اليمن وغيرهم، وهم يتكلمون بالكلام العربي الفصيح، يقولون الشعر، وهم فصحاء نبلاء خاصتهم وعامتهم..»[4]، في هذه المدينة نشأ المعتمد بن عباد، وكان والده قد ولاه مملكتها، ولما تولى الملك بعد وفاة أبيه على إشبيلية، ولى ابنه (المعتد) عليها[5]، وفيها قصر (الشراجيب)، الذي قال فيه (ابن عباد):[6]

وسلم على قصير الشراجيب عن فتى

له أبداً شوق إلى ذلك القصر

وإذا كانت (شلب) قد آلت إلى حكم بني عباد، فإنها قبلهم كانت تعيش تحت ظل حكم بني مَرين، وبعدهم دخلت تحت حكم المرابطين

(1) انظر: الحلل السندسية...، م1، ص222، وفي (النفح)، ج 1 (كورة أكشونية) انظر: ص 184، والبكري سماها (أكشنبه) و(أكشونية). انظر صفحتي 125 و129، وقال إن (اكشنبة) فيها جبل يعرف بجبل الجنة، كثيراً ما يتضوع منه ريح العود الذكي إذا أرسلت فيه النار..، انظر ص 125 من كتاب: (جغرافية الأندلس...)، وانظر: معجم البلدان، ج3، ص 357 – 358. والدكتور (مؤنس) أطلق عليها أخشونبة. انظر: الحلة، ج1، هامش ص 62، وانظر هامش ص 203 من الحلة، ج2.

(2) انظر: المغرب في حلى المغرب، ج1، ص 380 و381 وفي الأخيرة (المملكة الشلبية).

(3) السابق، ص 380.

(4) من: الحلل...، م1، ص 87، وانظر: معجم البلدان، ج3، ص 357.

(5) انظر: المغرب...، ج1، ص 381، وانظر أيضاً: المعجب...، ص 117، وانظر قبلهما: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق 2، م1، ص 371.

(6) انظر: ديوان المعتمد ابن عباد، ص 47، قطعة رقم (39)، وقد نسبه ابن سعيد في مغربه لابن عمار، انظر، المغرب...، ج1، ص 381.

فالموحوديـن إلى أن أسقطت في سنة 640هـ[1] «حين ضاع أقصى جنوب الغرب الأندلسي كله...»[2].

إلى (شلـب) وقراها ومدنها ينتمي: (ابن عمار، وحسان بن المصيصي - وأبـو بكر بن المنخل وأبـو القاسم بن الملح وأبو الربيـع سليمان بن عيسى الملقـب بكثير وأبو مروان عبدالملك بـن درون والأعلم الشنتمري وصالح بن صالح الشنتمري وأبو محمـد عبدالله بن السيد البطليوسي[3]، وأبو بكر محمـد بن وزير وابنـه أبو محمد بن وزيـر وأبو الوليد بن أبـي حبيب، وأبو بكـر محمد بن الروح ويوسف بن هارون الرمـادي وأبو الحسن بن هارون وكثير العلياوي وأبو علي إدريس بن اليمان العبدري[4]، ومحمد بن عمر بن المنذر[5]، وأبو عبدالله محمد الشلبي[6]، وابن سكن وابن الشواش المغربي[7].

إن هـؤلاء الأعـلام لم تقتصـر شهرتهم علـى شلب وحدها، بـل احتلوا مكانة بارزة في سماء الفكـر الأندلسي بشكل عام، ولأنهم كانوا كذلك، فإنـه يكفينا ما حوته بطون الكتب من حديث عنهـم، إلا أن صاحبنا (ابن حربـون) لم يحظ بالعناية كغيره من مفكـري وشعراء عصره على الرغم من أنـه كان ينتمي لأرض اشتهرت بهؤلاء الذين ينتمون إليها، قال (الرصافي)

(1) انظـر: رايـات المبرزيـن وغايات المميزين، هامش صـ 86، وانظر: التاريـخ الأندلسي من الفتـح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، ص354، والمعتقد أنها كانت تحت حكم بني رزين لامزين، انظر: ص 113 من الحلة، ج2.

(2) من السابق، هامش الصفحة نفسها.

(3) انظر: رايات المبرزين...، ص 86 وما بعدها.

(4) انظر: المغرب...، ج1، ص 380 وما بعدها.

(5) انظر: الحلة...، ج2، ص 202.

(6) انظر: النفح، ج4، ص 70.

(7) انظر: تحفة القادم، ص 61، ص 65، وانظر قبله: المن بالإمامة...، ص 240.

مخاطباً الشاعر:[1]

وأرض شلب وما شلب وإن ولدت
غمار ناس، فناس غير أغمار
عرف التحاور من تلقاء ألسنهم
كأنما نشأوا في غير أمصار
يلقون بالقول موزوناً وما قصدوا
كأن ذلك منهم عقد إضمار
إيه، وهل من إيه يا أبا عمر
من تحفة غير إعظام وإكبار

لقد عرفت (شلب) بكثرة الشعراء، قال العذري: «... قل أن يرى من أهل شلب من لا يقول شعراً ولا يتعاطى الأدب، ولو مررت بالحراث خلف ثيرانه وسألته الشعر لقرض في ساعته أي معنى اقترحت عليه، وأي معنى طلبت منه صحيحاً...»[2]، كما عرفت بكثرة متذوقيه، فقد ورد في المعجب أن (ابن عمار) الوزير المشهور قد ورد أيام خموله من قريته (شنبوس)، وهي إحدى قرى شلب كما مر بنا من قبل إلى هذه المدينة، «وكان لا يملك إلا دابة لا يجد علفها، فكتب بشعر إلى رجل من وجوه أهل السوق، فكان قدره عند ذلك الرجل أن ملأ له المخلاة شعيراً ووجه بها إليه، فعدَّها (ابن

(1) انظر: ديوان الرصافي البلنسي، جمعه وقدم له د. إحسان عباس، ص98، وانظر: زاد المسافر...، ص 132.
(2) من: آثار البلاد وأخبار العباد، ص 541

عمار) مــن أَجلِّ الصلات وأسنى الجوائز...»[1] ولأنها كذلك فقد احتفظ بهــذه المخلاة وبعد أن علت حالته واشتهر، بل إنه عندما تولى (شلب) أيام (المعتمد بن عباد) بعث بالمخلاة نفسها وقد ملئت بالدراهم لصاحبها.[2]

إن أهل مدينة (شلب) كانوا يهتمون بالشعر ويحفلون به لدرجة أن منهم مــن يجعل جزءاً من أرضه وقفاً للشعراء، فيوزع عليهم غلالها أو ما يجمع من أموالها مثل (ابن الملح) الذي قصده (ابن حبوس) الشاعر المغربي، فقد منحه سبعمائة دينار مرابطية وقــال: (هذه لك)، فأشكل الأمر عليه، إذ أن (ابن حبوس) من أهل (فارس)، وهذا من (أهل شلب)، فقال له ابن حبوس: من أين كانت هذه لي؟[3]، فقال له: «سأحدثك، إني أوقفت أرضاً من جملة مــا لي للشعراء، غلتها في كل سنة مائة دينــار، ومنذ سبع سنين لم يأتني أحد لتوالي الفتن التي دهمت البلاد، فاجتمع هذا المال حتى سيق إليك...»[4].

إن هــذه الاحتفالية بالشعر عند (أهل شلب) ممثلــين في (ابن الملح) وهو شاعــر مشهــور لتدل دلالة واضحة علــى أن (الاهتمــام) كان منصباً على الكلمة الشاعرة لا على ذات الشاعر، فسواء أكان من أهل شلب أم من مدن الأندلس المختلفة، أم من بر العدوة... فكلهم يتساوون في نظر (ابن الملح) في أخذ أو اقتسام هذا العطاء.

---

(1) من: المعجب...، ص 114

(2) انظر: السابق، الصفحة نفسها

(3) انظر: السابق، 214 - 215

(4) من: السابق، ص 215

(ابن حربون)- التعريف به

لقد أحاطت بهذا الشاعر ضبابية كثيفة لم تستطع المصادر أن تجلوها، وهي ضبابية غطت على كل شيء يحيط به. إن كل ما حفظته لنا اسمه، فقالت هو: (أبو عمر بن حربون)[1]، وقد زاد (ابن الأبار) في تحفته، فقال: «... وقد قال فيه أبو عمر أحمد بن عبدالله بن حربون...»[2]، والرصافي البلنسي زاد (الشلبي)[3]، وكذلك أبو بحر التجيبي في (زاد المسافر)[4]، أما (ابن عذارى في مراكشه)، فقد مضى على نهج ابن صاحب الصلاة، فقال: «وقال أبو عمر بن حربون...»[5]، و(ابن شاكر الكتبي) مضى على نهج ابن الأبار[6].

فهو إذا: «أبو عمر أحمد بن عبدالله بن حربون الشلبي»، أما عن مولده ووفاته وما يتعلق بحياته فلم تسعفنا المصادر بشيء من ذلك، غير أن (ابن صاحب الصلاة) قد قال وهو يتحدث عن علاقة (ابن حربون) بالسيد الأعلى أبي حفص: «... حسبما أذكره في هذا التاريخ...»[7] غير أننا لم نعثر على شيء من هذا سوى الشاعر الذي ذكرناه من قبل وكذلك أشعاره

(1) انظر: المن بالإمامة...، الصفحات 245، 253، 259... و(انظر ص 313 من فهارس الأعلام) وقد قال أيضاً إنه: (أبو عمر أحمد بن حربون الشلبي)، انظر ص 333

(2) من تحفة القادم، ص 65، وقد زاد في الحلة (الشلبي) انظر ج2، ص 201

(3) انظر: ديوان الرصافي البلنسي، ص 97

(4) انظر: زاد المسافر...، ص 131، إلا أنه قد قال (أبو عمرو...) لا عمر.

(5) انظر: البيان المغرب...، القسم الثالث (تاريخ الموحدين)، ص 61

(6) انظر: عيون التواريخ، ص 403

(7) من: المن بالإمامة...، ص 259، وكان المحقق قد علق على هذا في هامش الصفحة نفسها بقوله: «في السفر الثالث دون شك وانظر التعليق...»، ونحن لم نعثر على هذا السفر، أما التعليق فقد أعاد فيه ما ذكره سابقاً في متن حديثه وهو يتحدث عن العصر وعن الكتاب، أي في مقدمته التي كتبها. انظر ص 32، وكذلك هامش الصفحة نفسها، والذي فهمناه أنه لن يتطرق لحياة الشاعر، ولكنه ربما يتطرق لعلاقة الشاعر بأبي حفص وسبب طرده من خدمته. انظر ما يؤيد هذا في متن ص 259

التـي كان قد شارك بهـا وهو يتحدث عـن الأمراء الموحديـن خاصة أبي يعقوب وأبي حفص، والتي سنشير إليها فيما بعد.

إن هـذا الغموض الذي أحاط بالشاعر لهو محل التساؤل، ذلك لأن (ابن حربـون) لم يكن بذاك الشخص المغمـور، أو الذي كان متغيباً عن أحداث عصره، فقد كان أحد كتاب (ابن قسي – 537هـ) الذي وُلِّي على شلب من قبل الموحدين[1].

ثم فتك به بعد أن تنكر لتعهداته[2]، وفيه قال مادحاً[3]:

لم أر جـــــوداً لمـــستـمـاح
عـلـمـنـي صـــنـعـة امـــتـــداح
قـــد خـــلـــق الله راحـــتـــيـــه
مـــن طـيـنـة الـبـأس والـسـمـاح
راشـــس إمـــام الـهـدى جـنـاحـي
ولـيـس في الحـــق مـــن جـنـاح
أريـتـنـي الـيـوم كـيـف أوري
وكـنـت أصـلـدت في اقـتـداحـي
تـــبـــارك الله أيّ جـــدٍ
أفـــرغ في قـــالـــب المـــزاح

(1) انظـر: السابـق، صـ 31 – 32، وانظر: الحلـة...، ج2، ص 200، وممن (ابـن قسي) ودعاويه وولايتـه ثم طرده، انظر الصفحـات 30 32–، والنظـر: هامش ص 30 مـن كتاب (المن بالإمامة...)، والحلة، ج2، صـ 199 – 200، والنفح، ج6، هامش ص 305

(2) انظر: المن بالإمامة، ص 31، وانظر: الحلة...، ج2، ص 200.

(3) انظر: الحلة...، ج2، ص 201.

فقال (ابن قسي) مجيباً:[1]

جـــــددت جـــــداً بـــلا مـــزاح
ورضـــــت مـعـــتـــادة الجـمـــاح
حـلـيـتـه مـــن نـــتـــاج فـكـر
حـــولـــيـــه ثـقـفـة الـــقـــداح

ويقول:

وبـــعـــد، يـــا مـــن أعـــار خـلـقـي
حُـلـى مـــن أخـــلاقـــه الـسّـــمـاح

ولما كان (ابن قسي)[2] هذا قد خرج عن المألوف، «إذ كان صاحب حيل ورَبِّ شعوذة...»[3]. فقد اختلف عليه أصحابه أدى بهم الأمر إلى قتله فيما بعد[4]، والمعتقد أن (ابن حربون) كان واحداً من هؤلاء، إذ نجده قد قال في بيت من أبياته الشعرية:[5]

اهـــــرب إلى الله وابـــــرأ
مـــن أحـــمـــد بـــن قـســي

إن أخبار الشاعر قد كانت منقطعة قبل اتصاله (بابن قسي)، إذ ظهر اسمه فجأة كشاعر وكاتب لديه، ثم اختفى فجأة بعد القضاء عليه لنجده مع أولئك الذين استقبلوا الأمير الموحدي أبي يعقوب وأخيه أبي حفص في جبل

(1) النظر: السابق، الصفحة نفسها.
(2) انظر ما كتب عنه بتوسع في: الحلة، ج2، ص 197 وما بعدها.
(3) من: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص 212.
(4) انظر: السابق، الصفحة نفسها.
(5) انظر: الحلة...، ج2، ص 201.

الفتح[1]، عند عقد البيعة؛ قال (ابن صاحب الصلاة): «ووفد مع الشعراء أبو عمر ابن حربون، فقال مهنئاً على هذه البيعة السعيدة...»[2]، ثم أصبح من جملة كتاب أبي حفص وطلبة الحضر، قال (ابن صاحب الصلاة): «ونفذ أمر السيد الأعلى أبي حفص إلى أبي عمر ابن حربون وأبي الحسن الهوزني كاتب محمد بن المعلم أن يصحباه لكتابته في جملة كتابه...»[3].

إذاً (ابن حربون) كان شاعراً وكاتباً[4]، شعره دونته المصادر، أما كتاباته فلم نعثر عليها، وقد قلنا (كاتباً) اعتماداً على المصادر خاصة (المن بالإمامة...).

إن المؤكد أن (ابن حربون) قد عايش الأحداث التي وقعت في بلاده، خاصة في جنوبها وثورتها ضد المرابطين وخدمته مع الثائر (ابن قسي)[5]، ثم معايشته للواقع الجديد في بلاده بعد أن آل حكمها إلى (الموحدين)، فعايش فترة الأمراء عبدالمؤمن بن علي وابنيه: محمد- الذي خلع بعد وفاة أبيه، «إذ لم يستمر حكمه أكثر من خمسة وأربعين يوماً...»[6]، وأبي يعقوب يوسف الذي حكم بلاد المغرب والأندلس خلال الفترة من 558 - 580هـ والذي أسماه المراكشي في معجبه بـ (الملك)[7].

---

(1) انظر: المن بالإمامة، ص 240، وص 250.

(2) من: السابق، ص 245.

(3) من: السابق، ص 259، وص 264، وانظر هامش ص 245، أما صاحب المعجب فقد ذكر أن (الهوزني)، وكناه (بأبي الحسين) لا الحسن كما هو عند (ابن صاحب الصلاة)، ذكر أنه كان أحد كتاب الجيش للأمير أبي يعقوب يوسف بن عبدالمؤمن بن علي، انظر: المعجب، ص 244.

(4) ذلك لأن الكتابة قد تعني آليات خاصة يطبقها الشاعر الموحدي من خلال ما يمليه عليه الديوان (انظر ما يؤكد هذا ما كتبه الدكتور فوزي عيسى في كتابه (الشعر الأندلسي في عصر الموحدين) ص 80)، ولا تعني بالضرورة الكتابة النثرية التي نعرفها.

(5) انظر: الحلة...، ج2، ص 197.

(6) من: المعجب...، ص 236.

(7) انظر: السابق، ص 243.

ولأنــه شاعر، فقد اتصل بأمراء هــذه الدولة الجديدة، لكننا لا نعلم كيف وصــل إليهم أو اتصل بهم، وهل ذهــب إلى المغرب في البداية أم لا!! أم أنه اكتفى بلقاء هؤلاء الأمراء عنــد مرورهم وهم داخلون إلى الأندلس أو عند عودتهم إلى بر العدوة!!.

إنها مجموعــة استفسارات، لكن الشــيء المؤكد أنه قد وفــد مع الشعراء الأندلسيــين للترحيب بالأمراء الموحدين في أثنــاء مرورهم بجبل الفتح، ومن هؤلاء الأمراء عمر بن عبدالمؤمن بن علي[1].

إن ما خلفه من تراث شعري يؤكد أنه كان ذا علاقة جيدة بالأمير أبي حفص (عمر بن عبدالمؤمن) وهو أحد نبهاء أولاد الخليفة، وقد توزر لوالده، ثم لأخيه أبي يعقوب، لكنه أبعد عن الوزارة لارتفاع قدره عند أخيه[2].

إن تلك العلاقة الجيدة قد جعلت (ابن حربون) يخص هذا الأمير بأكثر شعره، كما أن الأمير قد «استصحبه ليكون في جملة كتابه»[3]، وقد كان ملتزماً بهذه الصحبة لدرجة أنه كان لا يروح ولا يغدو إلا بعد أن يستأذن، قال ابن صاحب الصــلاة، «وكتب أبــو عمر المذكور إلى السيد الأعلــى أبي حفص يستأذنه في المشي إلى بنيه بشلب، وكان ملتزماً عنده يكتب له مع الكتاب...»[4].

(1) انظر: المن بالإمامة...، ص 245.
(2) انظر: الــسابق، الصفحات 236، 237، 244.
(3) من: الــسابق، ص 259.
(4) من: الــسابق ص 335 ومن ضمن هذا الكلام المنقول بحرفه الأبيات اللاحقة.

يـا خـير مـن عَـبَـدَالـرحـمـن، عبدكم

يشكو إليـكـم فـراق الأهــل والـولـد

فــإن أذنــتــم لــه في أن يـطـالـعـهـم

فـهـذه دارهـــم مـنـه عـلـى صـدد

ولـيـس ذلــك بـبـدع مـن مـكـارمـهـم

فـكـم يـد قـد شـفـعـتـم عـنـدهـا بيد

يـا ابــن الخـلـيـفـة قـد الـبـسـتـني نعماً

أذكــت بقلب عــدوي جـمـرة الحسد

إن هــذه المكانة التي تمتع بها (ابن حربون) قـد جعلت له حساداً إذ شعر هــؤلاء أن ذكره قد علا وشاد[1] لدى الأمــراء الموحدين خاصة أبي حفص وكذلك أبي يعقوب بعد أن أنشد له قصيدته التي منها[2]:

الحـمـد لله مــدني شــاسـع الأمــل

وناظـم الشمل في سلك مـن الجـذل

قــال الفقيه أبو محمد المالقي: «استحسن الأمر لأبي عمر حين صاغ فيها المذهــب المراد، وقصــد فيها الاقتصــاد، وسبق أصحابه الشعــراء القصاد، وتقــرّب للأمر بأغراضه النبيلة فعلا ذكره وشــاد...»[3] فكان والحالة هذه أنموذجاً للشعراء الذين يطبقون الأوامر الموحدية، مثل البدء (بالحمد لله) في

(1) انظر: السابق، ص 367.

(2) انظرها كاملة في السابق، الصفحات من 363 - 367.

(3) من: السابق، ص 367.

قصيده بعد أن أمر أبو يعقوب الشعراء بالابتداء بذلك على طريق الكتابة[1]، كما كان من الشعراء الذين يصنعون شعراً على لسان أبي حفص[2]، ومع أنه كان كذلك إلا أننا نجد أنه قد حرم من الكتابة فجأة مع هذا الأمير، وقد يكون للحساد دور في ذلك، قال ابن صاحب الصلاة «... وأما أبو عمر ابن حربون فطالبته معارفه، وذنبته أفهامه وأقلامه واشعاره حتى تمكنت من حرمانه وحطه...»[3].

إن طرده أو حرمانه من الكتابة مع الأمير قد حرك كوامنه الدفينة مما جعله يقول مخاطباً الشاعر الرصافي[4]:

كان الصِّبا وطري إذ كنت في وطني

فقد فجعت بأوطاني وأوطاري

وقال أيضاً:

ما للزمان ألا حُرٌّ ينهنهه

يفري أديمي بأنياب وأظفار؟

نشدته حق آدابي فأشعرني

بأن ذنبي آدابي وأشعاري

---

(1) انظر: السابق، ص 363.

(2) انظر: السابق، وكمثال على ذلك صفحتي 287، 335، وفي ذلك دلالة على تطويع (ابن حربون) لموهبته، لأننا نلحظ أن الأمر قد يصل بالأمير إلى أمر الشاعر بقول الشعر على لسانه ولو رفض فإن الأمير قد يتخذ منه موقفاً.

(3) من: السابق، ص 259.

(4) انظر: زاد المسافر...، ص 131.

ونتيجة لهذا الواقع الذي عاشه (ابن حربون)، فإننا نجده قد فضل العزلة على العيش مع القهر والظلم، والفقر على الغنى مع الذل والمهانة، قال من القصيدة نفسها التي وجهها للرصافي:

إذا المدائح لم يسفر لها أمل
فخلني لأماديحي وأسفاري
فقد غربت عن الدنيا وبهجتها
وقلت للنفس صبراً أم صبَّار
ما أصعب الفقر لكني رضيت به
لما رأيت الغنى في جانب العار

وقد رد عليه (الرصافي) بقوله:[1]

صون الفتى وجهه أبقى لهمته
والرزق جار على حدٍّ ومقدار
قنعت وامتد مالي فالسماء يدي
ونجمها درهمي والشمس ديناري

إن الرصافي قد انصرف عن مدح الموحدين، ولهذا السبب فإنه لم يشتهر في الديوان الموحدي[2]، ولأن له مثل هذه التجربة، فإن (ابن حربون) قد أبداه شيئاً من معاناته الجديدة، بعد أن كان قد احتل مكانة في ذلك الديوان

(1) انظر: السابق، ص 132، وانظر: ديوان الرصافي الذي جمعه وقدم له الدكتور إحسان عباس، ص 99.
(2) انظر: الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، ص 288، وانظر: عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس (القسم الثاني - عصر الموحدين)، ص 689.

عكس (الرصافي)، وهي مكانة دفعت بعض الباحثين لإطلاق اسم (شاعر الدولة الموحدية) عليه[1] من بين كم كبير من شعراء الأندلس والمغرب الذين التقوا في ذلك الديوان[2].

إن (ابن حربون) كان يتمتع بسمعة حسنة، ليس عند الأمراء الموحدين حسب، بل أيضاً عند الشعراء، قال (الرصافي) مادحاً إياه[3]:

هذي مساعي ابن حربون وكيف بها

فبارها شرفاً يا نجم أو سار

فهل نسائم مسك تنثرون معي

أم تقطفون معي أكمام أزهار

إلا أنه، وبالرغم من هذه السمعة، فإنه كان أشبه بالشعراء المغمورين أولئك الذين لا تأبه بهم المصادر، فلا تدون حياتهم، ولا تتحدث عنهم، ولعل ذلك يعود إلى القلق الذي كان يلازم الأدباء في هذه الفترة بالذات، فحياتهم غير مستقرة، وعطاؤهم غير متواصل، إذ سرعان ما ينقطع نتيجة لحدث دار حول الدولة أو حول الحاكم أو حول الأمير الممدوح[4]، ثم إنه في هذه الفترة بالذات قد افتقدت الأندلس لشخص يتتبع أخبار أدباء

(1) انظر: عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس (القسم الثاني) عصر الموحدين، ص 28، وص 39، وانظر: الشعر الأندلسي في عصر الموحدين: ص 79.

(2) انظر: عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس (القسم الثاني) عصر الموحدين، الصفحات من 687 - 693، وانظر: مقدمة محقق كتاب (المن بالإمامة...) ص 59، فقد رصد فيها الأسماء الشعرية التي شاركت في (ديوان الموحدين)، وانظر: الشعر الاندلسي في عصر الموحدين، ص 79.

(3) انظر: ديوان الرصافي البلنسي، ص 99.

(4) انظر ما كتب حول: الأدباء والخصومات السياسية في كتاب: الأدب الأندلسي في عصر الموحدين، ص110 وما بعدها.

بلاده فيدون أخبارهم، ويرصد آثارهم، فالحركة الثقافية قد انتقلت إلى (بر العدوة) خاصة في العصر الموحدي، حيث ظهر المؤرخون يتتبعون الأخبار الموحدية، فيدونونها، الأمر الذي أكد أن (التأريخ) قد تحول إلى وثيقة تاريخية أدبية فكرية، وهذا في الواقع حمل المؤرخ مهمة جديدة، إذ أن عليه أن يدون كل ما يراه ويسمعه ويشاهده، فإذا هو أشبه (بالمتحدث الرسمي) الذي نعرفه في عصرنا الذي نعيشه، وهو كذلك (الصحافي) و(الإعلامي) و(كاتب الديوان)... إلخ ذلك.

إننا ومن خلال تتبعنا للمصادر التي حملت لنا أخبار (الديوان الموحدي) نجدها قد دوَّنت شعر (ابن حربون) كغيره من الشعراء دون أن تتحدث عنه وعن أخباره، لأنه في الواقع لا يهمها كشخص، بقدر ما يهمها إبداعه الذي تحدث فيه عن الدولة وأخبارها، ولأن مهمتها محددة، ولن تخرج إلى إطار الببليوجرافيا فتتجه للحديث عن الشخصيات الأخرى، وهم كثر غير (الأمراء) الذين تتحدث عنهم بإسهاب، لأنهم أصل الحدث، ولأنهم مغاربة، ومعظم المؤرخين من غير أهل الأندلس، ولأنهم كذلك فإنهم يخضعون لتوجيه الديوان أو البلاط الذي يعملون فيه.

إن هناك الكثير من المسببات التي جعلت الضبابية تحيط بشاعرنا (ابن حربون)، ذلك لأنه لم يتحدث عن نفسه، ربما لظروفه الخاصة، وربما لاتجاهه للانزواء في أخريات حياته، ولعل وضع بلاده (الأندلس) هو الأساس في ان تحيط به كثبان من الرمال قد غطت عليه، فلم نعرف له سوى اسمه الذي فرضه شعره ليس إلا.

شعر (ابن حربون): قراءة في المتاح

بعد جهود مضنية لم أعثر على ديوان الشاعر، والذي ورد ذكره في كتاب: (تـراث الأندلس- تكشيـف وتقويم)[1]، كما لم أعثر علـى شيء من أخبار (عبـدالله القيسي) الـذي عده محقق كتاب (المن بالإمامـة...) راوية لأدب وأشعـار (ابن حربـون)[2]، ولأن شعره والحالة هذه قـد أحاط به الغموض كمـا أحاط بصاحبه، فإن ما ورد في المصادر الآتية يمثل في نظري كماً طيباً يصلح للدراسة:

اسم المصدر	مؤلفه ووفاته	عدد الأبيات الشعرية الواردة فيه للشاعر
ديوان الرصافي البلنسي	الرصافي البلنسي، أبو عبدالله محمد ابن غالب ت572هـ	بيت واحد ص 97
تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين. (السفر الثاني)	عبدالملك بن صاحب الصلاة ت 594	555 بيت في الصفحات من(245 - 250). (253 – 257). (262 – 266). (287 – 289). (325 - 338). (348 - 352). (360 - 367). (383 - 387).
«زاد المسافر وغُرّة محيا الأدب السافر»	أبو بحر صفوان ابن ادريس التجيبي المرسي ت598هـ	14 بيت (ص 131 - 132) وقد ورد البيت الأول منها في ديوان الرصافي.

(1) انظر: ص95، والكتاب صدر عن مؤسسة الملك عبدالعزيز للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية بالدار البيضاء.

(2) انظر: المن بالإمامة...، هامش ص 245.

تحفة القادم	أبو عبدالله محمد بن الأبار القضاعي البلنسي ت658هـ	بيتان، ص 63
الحلة السيراء (الجزء الثاني)	،،	ثمانية أبيات، ص201
«البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب» (القسم الثالث)	أبو عبدالله محمد ابن عذاري المراكشي ت695هـ	114 بيت، وهي في مجملها مقطعات شعرية نقلت من «المن بالإمامة...»
«عيون التواريخ» ج12	ابن شاكر الكتبي	بيتان، وقد نقلهما عن «تحفة القادم»

إننا إن استثنينا (ديوان الرصافي) لأن البيت الشعري الوحيد والوارد فيه لابن حربون موجود في مطلع القصيدة التي حواها (زاد المسافر)، وكذلك (البيان المغرب...)، لأن مقطعاته من القصائد التي حواها (المن بالإمامة...)، وكذلك (عيون التواريخ)، لأن البيتين الموجودان في جزء من أجزائه قد حواهما (التحفة)، أقول: إن استثنينا كل ذلك، فإن مجموع المصادر التي يعتد بها: أربعة مصادر حوت أكثر من خمسمائة وسبعين بيتاً وذلك على النحو التالي:

- تاريخ المن بالإمامة 555 بيت
- زاد المسافر 41 بيت
- تحفة القادم 2 بيتان
- الحلة السيراء 8 ثمانية أبيات

فكان المجموع عندئذ هو (579) بيتاً من الشعر.

إن هـذا الكـم الشعري وما حواه من معان يدفعنـا لحكم أولي على موهبة (ابـن حربون)، وهو حكـم لا يخرج عن حد الاعتراف بهـا، بل وأهميتها في مثـل هذه المرحلة، وكان الشاعر قـد ألمح إليها في بعض شعره، كقوله في إحدى قصائده:[1]

ودونـكـمـوهـا مـن ثـنـائـي فـريـدة
عـلـيـهـا مـن الـنـظـم الـبـديـع فـرائـد
تـلاقـى عـلـيـهـا مـن لـسـاني شـاكـر
ومـن نـعـم المـولى المـعـظـم شـاهـد
وفي خـلـدي إن كـان في العـمـر مهلة
عـجـائـب يـفـنـى الـدهـر وهـن خـوالـد

وقوله في أخرى:[2]

ودونـكـم من قـوافي في مدحكم حبرا
تـبـلـى الـلـيـالي وهـنّ الـغـضـة الجـرد
صـدرن مـني بـحـكـم الـود عـن كبد
لـولا رجـاؤكـم قـد فـتّـهـا الـكـمـد
بعثت مـنـهـنّ بالسحر الحـلال، فلم
تـعـقـد عـلـى نـفـث نَـفّـاث بـهـا العقد

بل إنه قد ذكر أن من أسباب شقائه: أدبه وأفكاره، يقول متحدثاً عن الزمان وهو يخاطب (الرصافي):

(1) انظر: المن بالإمامة...، ص 250.
(2) انظر: السابق، ص 256.

مـا لـلـزمـان، ألاحُـــرٌ ينـهـنـهـه

يـفـري أديمـــي بـأنـيـاب وأظـفـار!

نـشـــدتـه حـق آدابـــي فـأشـعـرني

بـــأن ذنـبـي آدابـــي وأشـــعـاري

إن (ابن حربـون) كان صاحب موهبة شعرية جعلته يعيش قلقاً متواصلاً، وتلك حال نعهدها عند من يحمل معاناة، أية معاناة، فكيف بالمعاناة الفكرية؟

وإذا كان هـذا الشاعـر قد عاش هـو وشعراء عصره –خاصـة الأندلسيين منهم– قلقاً فكرياً، فإنه قد عاش أيضاً قلقاً اجتماعياً جعله يخضع بعض شعره لمتطلبـات ورؤى الآخرين، سعياً في رضاهم، ومحاولة في تخفيف وطأة هذا القلـق، وهذا الأمر لحظناه عندما يكتب شعـراً على لسان أحدهم، وينسبها لذلـك الاســم دون اسمه[1]، أو عندما يؤمر بتطبيق أمـر من الأمور الأخرى والمملاة عليه، فطيبقها في شعره[2].

إنـه شاعر قد طوع موهبتـه حسب رؤاه، ولما تمليه عليـه ذاته، وهي ذات قلقـة، ولكنه بالرغم من ذلك كلـه، فإننا نلحظ أن شعره لم يفقد ذلك الوهج الشعري الذي يحوي صوراً وأخيلة رقت بشعره المسمى (بالوثيقة)[3] والتي سجلت انتصارات الموحدين شأن غيره من شعراء عصره إلى عالم أخرجها من دائرة التاريخ الجامد، إلى الوثيقة الشعرية التي تنبض بالحياة.

(1) انظر: المن بالإمامة...، ص 287، وعن (الشك في الشعر المنسوب لبعض الأمراء الموحدين)، انظر كتاب: (الأمير الشاعر أبو الربيع سليمان الموحدي – عصره – حياته – شعره)، ص 91 وما بعدها.

(2) انظـر: المـن بالإمامة...، صـ 362، فقد بدأ قصيدته بـ(الحمد لله) علـى طريق الكتابة، أو الخطبة وذلـك تنفيذاً لأمر أبي يعقوب يوسف بن عبدالمؤمن.

(3) انظـر مـا قاله الدكتور فوزي عيسـى عن هذا اللون من الشعر وذلـك في كتابه الشعر الأندلسـي في عصر الموحدين، ص 79 – 80.

إن هـذه الوثيقة -أقصد شعر المديح عنـد الشاعر- عبارة عن تجربة عبرت عن عميق شعوره واحساسه، وذلك بعد اقتناع ذاتي لا يهدف من ورائه إلى كسب رضى الآخر حسب، بل ليغذي شاعريته بجميع الأفكار[1]، وليظهر ما في هذه الذات من دفق شعوري، وهو دفق جعلنا نعيش مع قصائد عبرت عـن واقع ذاتي وغيري، فكانت كالمـرآة العاكسة، الأمر الذي يجعلنا نحفل بـه (كشاعر من شعراء الأدب التاريخي)[2]، ففي شعره، خاصة (المديح) منه (خـبر)، والخـبر أهم دعائم هذا الأدب[3]، إن في شعـر (ابن حربون) مدعاة للحديث عن هذا الأدب، ولكي لا نسرح مع الكلمات التي تحاول نقل ما له علاقة (بالوثيقة التاريخية) و(بالأدب التاريخي)، فإننا نقول:

إن الناظـر لمجموع شعر ابـن حربون والذي حوته المصـادر الآنفة الذكر يجده قد دار حول الأغراض الآتية:

- المدح والتهنئة
- الوصف
- الشكوى والحنين
- الذم

وهي أغراض بالإمكان وضعها تحت غرض واحد، هو (الوصف) ذلك أن الشعـر عند هذا الشاعـر ينطلق من (الذات) ويتعداهـا إلى (الغير) التي تشمل (الآخر) أو (الآخرين) كما تشمل الزمان والمكان والبيئة المعاشة.

(1) انظر: النقد الأدبي الحديث، ص 363، وانظر: لغة الشعر العربي الحديث، مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية، ص 55.

(2) انظر حول (مصطلح الأدب التاريخي) البحث المعنون بـ(أدب التاريخ: دراسة في المصطلح والإطار النظري) بقلم الأستاذ الدكتور محمد عويس محمد، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ع1، رجب 1409هـ، ص 277 وما بعدها.

(3) انظر: السابق، ص 289.

إنه شعر غير منغلق، ولذلك نجده قد انفلت من حدود (شعر المناسبات)[1]، -ذلكم الذي يجعل الشاعر يعيش في أفق محددة، بل مكبلاً بقيود معينة- إلى الحديث عن الذات التي يخلطها مع الحديث عن الآخر، قال في قصيدة من قصائده المدحية:[2]

لكم بعد حمد الله تهدى المحامد

وفي وصف علياكم تصاغ القلائد

ثم قال بعد مطلع لم يتعد سبعة أبيات متحدثاً عن (ذاته):

ولولا خطوب أخرتني لم يفد

على الحضرة العليا قبلي وافد

فإن لم أكن من شاهدي بيعة الرضا

فإني بإخلاص الضمير لشاهد

فحسب الليالي أو فحسبي أنني

مدى الدهر ساع في رضاكم مجاهد

وفي آخر القصيدة نجده قد قال عن شاعريته:

ودونكموها من ثنائي فريدة

عليها من النظم البديع فرائد

تلاقى عليها من لساني شاكر

ومن نعم المولى المعظم شاهد

---

(1) انظر ما كتب عن قيود شعر المناسبات في كتاب: حول الأديب والواقع، ص65 وما بعدها.

(2) انظر: القصيدة في المن بالإمامة...، ص 245 وما بعدها.

وهـذا في الواقع لم يقتصر على قصيـدة واحدة، بل تعدى ذلك إلى معظم قصائده.

إن (ابـن حربـون) قد مزج في شعـره بين الغنائية والذاتيـة، فكان شعره تصويـراً حسيـاً للبيئـة والطبيعة البشريـة[1]، إنه ومن خلال هـذا المزج قد جعلنـا نعيش مع عمل يعبر عن تجربة شعرية[2] ليست خاصة، فهي عند أي شاعر، لكنه استطاع أن يخضعها لرؤى ذاتية تعاني من أزمات عديدة أخفى معظمها تحت ستار هذه التجربة، وليدل على حنكة شعرية أثرت فيها تقادم السنـين التي مرت به أو هو مرّ بها، كما يدل على مكانة كان يتمتع بها في مجتمعه، ألم يقل مخاطباً الأميرين:

ولـــولا خـطـوب أخـرتـنـي لم يفد

عـلـى الحـضـرة العـلـيـا قـبـلـي وافـد

فـإن لم أكـن مـن شاهدي بيعة الرضا

فـــإني بـإخـلاص الـضـمـير لشاهد

إنه في هذين البيتين يعلن إخلاصه للموحدين، فلو كان من دعامة الناس لما ذكر هذا في شعره أساساً، لأن إخلاصه أو عدم إخلاصه لن يهم هذا الأمير الجديد، وطالما أنه يحتل مكانة، فلا بد والحالة هذه أن يعلن الولاء، على أن الأمر لم يقتصر عليه وحده، بل أهل الأندلس، نجده قد قال عنهم:[3]

(1) انظر: لغة الشعر العربي الحديث- مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية، ص 21.

(2) انظر ما كتب عن (التجربة الشعرية) في السابق، ص 225.

(3) من القصيدة السابقة.

إليكم سرى من (شلب) ركب كأنهم

مطارد، أوهم للخطوب طرائد

سروا فوق أعناق الشدائد نحوكم

وفي طلب العليا تهون الشدائد

إن أهل (شلب) ومنهم الشاعر قد فرحوا بالموحدين، فما كانت منهم إلا المباركة لهم، لأنهم يمثلون في نظرهم المخلصين للأندلس، والمنقذين للديار الإسلامية فيها، قال (ابن حربون):[1]

قد حصحص الحق لا ريب ولا فند

هذي الفتوح التي كانوا بها وعدوا

خذوا بحظكم يا أهل أندلس

فليس لغاو بعدها رشد

واستمسكوا بعرى الأمر الذي بهرت

آياته كل من يعلو ويقتصد

اليوم صُمّ صدى الغاوي بأرضكم

والكلب ينبح ما لم يزأر الأسد!!

وإذا كان (ابن حربون) قد تحدّث عن الذات وعن أهل الأندلس، فإن الأغراض التي ذكرناها آنفاً قد حوت في مضامينها موضوعات عدة، لعل أهمها:

*الحديث عن الأمراء الموحدين، وهذا الحديث قد تنوع وتعدد، فهو

(1) انظر: المن بالإمامة...، ص 253.

تهنئة ببيعة:[1]

هـي البـيعـة الـغـراء جـاءت يقـودها
إلـيـك مـن الأمـر الـسـمـاوي قائـد
تـسـربـلـهـا مـن سـرقـيـس محـبـب
إلى الـنـاس مـيـمـون الـتـقـيّـة زاهـد
وأبـيـض فـيـاض الـيـديـن مـبـارك
على وجهه من نـور ذي العرش واقد
فـإن قـلـد الأمـر الـعـلـي فـإنـه
لأفـضـل مـن تـلـقـى إلـيـه المقـالـد

* أو بعودة:[2]

بـأيـمـن طـائـر كـان الإيـاب
وأنجـح مـطـلـب بـلـغ الـطـلاب
وكـانـت وجـهَـةً كـرمـت منـابـا
فـقـد شـكـر الـتـوجـه والمـئـاب
دلـفـتـم بـالأسـود إلى بـلاد
ثـوث حـجـجـاً تـعـيـث بـهـا الـذئـاب
أشـبـهـهـا غـداة حـللـتـمـوهـا
بـلاد الجـدب حـل بـهـا الـسـحـاب

(1) انظر: المن بالإمامة...، ص 245 وما بعدها.
(2) انظر: السابق، ص 262 وما بعدها.

فلولاكم لقد أضحت مواتاً

يسن على ترائبها التراب

فقد ألقى عصا العمران فيها

وقوض رحله عنها الخراب

* أو بنصر:[1]

بلجت بكم حجج الكتاب المنزل

ونصرتم نصر النبي المرسل

وجلوتم غمرات كل دجنة

لو أن صبحاً راقها لم تنجل

وجنبتم هوج الرياح جنائباً

وسريتم إذ نام ليل الهوجل

وسحبتم -والله يشكر سعيكم-

في عرصة الأعداء ذيل الجحفل

جيش تغص به مناديح الفلى

فيحار منها مجهل في مجهل

طابت لكم ريح الجلاد كأنما

يتعرفون هناك عرف المندل

* أو مباركة بلقب جديد: فحين دُعي الأمير أبو يعقوب يوسف بأمير المؤمنين، قال الشاعر[2]:

(1) انظر: السابق، ص 325 وما بعدها، وانظر أخرى ص 360 وص363 وص384 وما بعدها.

(2) انظر: السابق، ص 348 وما بعدها.

جـاءتـك تـسـحـب ذيـلـهـا للموعد
زهـــراء طـالـعـة بـسـعـد الأسـعـد
فـاصـــدع أمـــير المـؤمـنـين بـدعـوة
لم تـــترك صـــمـمـاً بـســمـع الجـلـمـد
يـهـنـى الـخـلافـة أن لـبـسـت رداءهـــا
وقـعـدت منـهـا الـيـوم أشـــرف مقعد
ومـن ارتـقـى في سلم الـتـقـوى رأى
زهـر الـكـواكـب بالحضيض الأوهـد

* أو بلقاء، فقد قال عند لقاء الأخوين أبي يعقوب وأبي حفص على جبل طارق:[1]

انـظـر إلى مجمع البحرين كيف حوى
مـن الـفـضـائـل مـا لم يـحـوه بلد
لاقـى الكليم على الشاطئ بـه خضراً
وفـيـه لاقـى أخـاه الـسـيـد الـسّـيـدُ
صنوان مـا اجتمعا في أرض أندلس
إلا لـيـحـيـي فـيـهـا ديـنـه الأحـد
يـا مـن رأى الفلك فـوق المـوج طافية
كـمـا كـفـأت قـبـابـاً وسـطـهـا العمد
يـنـسـاب مـنـهـن في أعـلـى غـواربـه
أســـاود سـكـنـت أجـوافـهـا أسـد

(1) انظر: السابق، ص 253 وما بعدها.

* أو هو حديث عن بطولات الأمراء الموحدين، كقوله:[1]

قريتم سباع الأرض منها فأصبحت
كأن رباها للعوافي موائد
لقد أيقنوا أن الحتوف مصادر
غداة رأوا ان الشفار الموارد

* وفي أخرى:[2]

ومتى شدا الحادي لحسن ثنائكم
طارت بأجنحة السرور مطارها
صدرت عن الجبل المبارك بعدما
بثت بسعدكم هناك شعارها
واستقدمت للرعب كل كتيبة
شنت بأرض المشركين مغارها
وقضت بأرض العدوتين مئاراً
شكر الأنام لفضلكم آثارها
جهزتم نحو الأعادي فيلقا
سحاب أذيال القنا جرارها

وإذا كان الشاعر قد تحدث عن بطولات الأمراء الموحدين، فإنه إنما يسجل انتصاراتهم في مواقع محددة هي التي دفعته لقول هذه القصيدة

(1) انظر: السابق، ص 245 وما بعدها.

(2) انظر: السابق، ص 265 وما بعدها. وانظر أيضاً قصيدة أخرى ص 325 وما بعدها، وص 329 وما بعدها، وص 333 – 335 وما بعدها.. والجدير ذكره أن قصائد (ابن حربون) لم تخل في معظمها من حديث عن بطولات الأمراء الموحدين.

أو تلـك، مثـل موقعة جبل (السبكة) عام 557هـ، أو اللقاء في جبل طارق بعد نصـر على الأعداء وجمـع الشمل وذلك عام 560هـ، إذ قال الشاعر من القصيدة التي مطلعها:[1]

قـد حصحص الحـق لاريـب ولا فند

هـذي الفتوح التي كـانوا بها وعـدوا

وكان مع المرحبين باللقاء بين الأخوين أبي حفص، وأبي سعيد:[2]

وبـشر العـجم أن الـعرب قـد دلفت

عـلى الـعـراب وأن الملـتقى صـدد

هـاتيـك ثـانيـة الـيرمـوك قـد رجفت

مـا إن لـكـم صبب عنها ولا صعد

فـالـديـن جـــذلان قـد عـزت جوانبـه

والـكـفـر خـزيـان مـا ينفك يضطهد

* أو النصر على الأعداء في (جبل غمارة)، قال:[3]

بلجت بـكـم حـجج الـكـتـاب المـنـزل

ونـــصـــرتم نـصـر الـنـبـي المـرســل

* أو الحديـث عـن الجيش الموحدي سـواء أكان في كثرتـه أم في تنوع أفراده، إذ نجده قد قال:[4]

---

(1) انظر: السابق، ص 250 وما بعدها.

(2) انظر: السابق، القصيدة نفسها، والأبيات في ص 255.

(3) انظر: السابق، ص 325 وما بعدها.

(4) انظر: السابق، ص 254 - 255.

هـا إنـهـا كـالـدبـا تـنـسـاغ نـحـوكـم

فيها الحـفـاظ وفـيـهـا الـصـبر والجـلـد

تـرى الـكـمـاة الـتـي مـا شـأنـهـا خـور

عـلـى الجـيـاد الـتـي قـد زانـهـا الجـيـد

شيب ومـرد ينادي الباس إن ركبوا:

أيـن الـغـواة الأولى قـد طـال مـا بـردوا

ظـنـوا بـهـا قـد أتـت تـزجـي مقانبها

مـثـل الـرواعـد فـيـهـا الـبرق والـبرد

وفي أخرى قال عن الجيش الموحدي وكثرته:[1]

جـيـش يـغـص بـه مـنـاديـح الـفـلـى

فـيـحـار مـنـهـا مجـهـل في مجـهـل

وعن بطولات هذا الجيش قال في أخرى:[2]

تحـشـه مـن جـنـود الله طـائـفـة

لا يـنـهـد الـنـصـر إلا آيـة نـهـدوا

مجـربـون مـراس الحـرب دأبـهـم

فكلما صـدروا عـن غـمـرة وردوا

قـد طـال مـا عجمتهم كـلُّ ملحمة

لـهـا طـرائـق في هـامـاتـهـم قـدد

(1) انظر: السابق، ص 326

(2) انظر: السابق، ص 253، وانظر أخرى تحدث فيها عن الهيبة التي تسبقه إلى مسامع أعدائه في ص 326.

* أو الحديث عن هزائم الأعداء وتفرق شملهم والخزي الذي يلحق بهم، كقوله مثلاً:[1]

تجلل منها (المردنيشي) خزية
تناغى بها بين البيوت الولائد
وولى بها شوهاء قد فضحتهم
كما افتضحت بعد الأماني عامد
قريتم سباع الأرض منها فأصبحت
كأن رباها للعوافي موائد
لقد أيقنوا أن الحتوف مصادر
غداة رأوا أن الشفار الموارد
فجاءوا كما جاءت أسود بواسل
وولوا كما ولت نعام شوارد
كتائب كالخامات خاموا، فأصبحوا
وهم للسيوف المرهفات حصائد
نزلت عجاج الموت ثم تكشفت
وقد فاز بالنصر الجليد المجالد

* أو الحديث عن دواب وأدوات الحرب، فقد تحدث عن الدواب المستعملة خاصة الخيول، والمطي والعيس، كما تحدث عن أدوات الحرب مثل الرماح والسيوف، إذ قال عن سنان رمح صنعه الصناع للأمير يوسف

(1) انظر: السابق، ص 249، وفي معظم قصائد المديح التي قالها إثر المعارك التي قامت بين الموحدين، والأعداء حديث عن الجيش المنهزم، فانظر تلك القصائد، وكمثال على ذلك ص 326- 327.

بن عبدالمؤمن[1]:

طبع الإمام من الأسنة لهذما
لم يعهدوه في أسنة معضب
رمح تمثل للأعادي شكله
رأسي شجاع أو زبانا عقرب

وقال على لسان سيف الأمير:[2]

أنا إن جردت يوماً
كنت بالنصر قمينا
لأمير المؤمنين
ابن أمير المؤمنينا

* ولأن (ابن حربون) قد تقلب مع الأمراء الموحدين في أماكن عدة، فإنه وهو الشخص الخبير قد نقل لنا صوراً أخرى غير ما ذكرناه آنفاً، فقد تحدث عن مجالسهم التي يرتادها العلماء وطلبة العلم، فقال:[3]

مجالسهم روضات نجد يزينها
من النور أجناس توأمٌ وفارد
مجالس لو ترقى الكواكب نحوها
لقد بات تلميذاً لديهم عطارد

(1) انظر: السابق، ص 351

(2) انظر: السابق، ص 352، وفيه نجد أن الشطر الثاني من البيت الثاني كان (بن أبي المؤمنين)، وفي (البيان المغرب) جاء البيتان على شكل بيت واحد:

أنا إن جردت يوماً كنت بالنصر قمينا لأمير المؤمنين بن أمير المؤمنينا

(3) انظر: المن بالإمامة...، ص 247.

لقد عمرت بالعلم حتى كأنها

لكثرة ذكر الله فيها مساجد

ومحاولة من الأمراء الموحدين في تشجيع العلم وطلابه، كانوا كثيراً ما يمنحون الهبات لهؤلاء، وهذا في الواقع قد دفع الشاعر للحديث عن كرمهم، فقال عن الأمير أبي حفص:[1]

له راحة لو أن للمزن جودها

لما سار يبغي الخصب في الأرض رائد

وطبع تمنى الرافدان له أنه

يمدهما منه معين ورافد

وقوله أيضاً:[2]

أمولاي أخرسني فضلكم

فمالي لسان به أعرب

وقال وهو يمدح أبا يعقوب:[3]

إذا دنت دارهم فاعطف أزمتها

واحطط رحالك ففيها منتهى الرحل

وانزل لدى ساحة ريا مباركة

واشكر أيادي أيدي الخيل والإبل

(1) انظر: السابق، الصفحة نفسها.

(2) انظر: السابق، ص 361.

(3) انظر: السابق، ص 364.

قد يمتكم وحادي الشوق يحفزها

والرمل يشكو الذي يشكو من الرعل

وإن علت سنداً أورت به زندا

تلقى القلوب بما فيها من الشعل

لم تقرب الدار إلا أرزمت طرباً

قرب الموارد يذكي وقدة الغلل!!

لقد شعر (ابن حربون) كغيره من شعراء البلاط الموحدي أن للشعر أذناً صاغية[1]، وهذا قد دفعه للتمادي في القول حتى وصل به الأمر إلى حد الغلو، إذ نجده قد ألبس هؤلاء الأمراء صفات فيها مغالاة، كقوله مثلاً وهو يمدح أبا يعقوب:[2]

إليه انتهى النور المبين الذي به

تبصّر ضليل وأذعن مارد

هو المصطفى من صفوة بعد صفوة

وطيب الفروع أن تطيب المحاتد

سليل الإمام المجتبى وشبيهه

فإن جل مولود فقد جل والد

(1) انظر: الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس، ص88، وانظر: الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، ص 79 – 80.

(2) انظر: المن بالإمامة، ص 247.

وعن (أبي حفص) قال:[1]

بحر كأن أبا حفص بصهوته
لقمان والمركب الجاري به لبد
تعجبوا من غراب فوق غاربه
ثهلان ذو الهضبات الشم أو أُحد

وهو مع غلوه في بعض الأوصاف، نجده يعتذر لأنه في نظره لم يصل إلى الغاية التي يريدها من وراء مدحه، بحيث نجده قد قال:[2]

جلت عليائكم أن يحاط بوصفها
حتى تساوى من أطال وقصّرا

وفي أخرى:[3]

من ذا الذي يتعاطى وصف حالكم
والبحر في جنب ما تولونه ثمد
فسوغوا عبدكم عذراً، فمجدكم
يقصر المرء عنه وهو مجتهد

وقال أيضاً:[4]

تحير في كنهك الألمعي
وقصر في مدحك المسهب

(1) انظر: السابق، ص 255، وانظر أيضاً ص 348، إذ قال مغالياً:
انظر إليه فإن روية وجهه تجلو الصدى عن قلب كل موحّد
(2) انظر: السابق، ص 332.
(3) انظر: السابق، ص 356.
(4) انظر: السابق، ص 361.

وأخرى:[1]

أنبـــاء فضـلـك لا يـقـام بحقها

ولـو أنـهـا كـتـبـت بـذوب العسجد

* شعر الشاعر بين قراءة الذات، وقراءة الآخر

مـن نافلـة القول التعليـق على العنـوان، لأن الشعـر أساسـاً يمثل هذين التعبيرين، فهو (إنساني)، وهو (ذاتي)، وابن حربون ليس بدعاً في هذا، ومما دعانا لجعل هذا العنوان هو التأكيد على أن مضامين شعره قد توزعت بين:

الحديث عن الآخر

والحديث عن الذات

والحديـث عن المخبأ في نفس الآخر شعراً[2]، ومحاولة نقل تلك المشاعر، وهـذا يعني أنه قد تقمص شخصية الآخـر، بل حل محلها، إذ أن نقل شعور الآخـر عبر أبيات شعرية يعني أنـه قد استقرأ تلك النفسية، ونقل كل رؤاها وأفكارها وما يحيط بها وكأنها نفسيته هو، وهذا فيه من الصعوبة لولا تمكن (ابن حربون) من هذه الموهبة التي أصبحت طيعة لينة، يوجهها كيفما شاء.

كتب على لسان أبي حفص متشوقاً إلى أخيه:[3]

عـلـلـوا الـعـيـس بـاقـتـراب الـديـار

وانـظـروا هـل بـدا لـهـا مـن مـنـار

(1) انظر: السابق، ص 351.

(2) كان (شلبي) قد قال إن الشعـر (كاشف النقاب عن الجمـال المخبأ في هذا العـالم...) انظر: المقارنة بين الشعر الأموي والعباسي في العصر الأول، ص 324.

(3) انظر: المن بالإمامة.. ص 287 - 288.

وارفعوا للمدى بأيدي المطايا

لمة الليل عن جبين النهار

واستطيلوا على طوال الليالي

واشتكوها إلى الليالي القصار

هذه كعبة العلى فأهلوا

واقرنوا بين حجة واعتمار

هذه حضرة الإمام فحطوا

وأنيخوا منها بدار قرار

إلى قوله:

إن يوماً نلقاكموه لأهل

أن يسمى جبينة الأعصار

بلغتنا مكول أنضاء سير

أكلتها القفار بعد القفار

فوجدنا من ريح يوسف ما لم

نتوقع عليه تفنيد نار

فكان الأقطار عنكم تحيي

بنسيم الرياض بعد الفطار

كم كتمنا الجوى فلما دنونا

باح هذا النسيم بالأسرار

فـــإذا مـــا ذكـــرتم في مـكـان

لـثـمـتـه مـبـاسـم الأزهـــار

وقال في أخرى على لسان أبي حفص:[1]

ســـلام أيـــهـــا المـلـك الـهـمـام

عـلـى نـاديـك دام لـه الـسـلام

ولا زالـــت لـك الأيـــام سـلـماً

وصـــبّ عـلـى أعـاديـك الـسـلام

فـأنـت إمـــام هـذا الخـلـق طـراً

مـتـى مـا زال لا زال الإمـــام

بـكـم تـتـكـشـف الـغـمّـاء عـنـهـم

ويـنـفـع غـلـة الأرضـــس الـغـمـام

إلى قوله:

ولم نـذكـرك في الـظـلـمـاء إلا

تـكـشّـف عـنـد ذكـركـم الـظـلام

يـطـول بـنـا الـزمـان فـكـل يـوم

يمـر ولا نـراكـم فـهـو عـام!

تـبـسـم عـنـكـم هـذي الـلـيـالي

كـمـا ابـتـسـمـت عـن الـزهـر الـكـمام

(1) انظر: السابق، ص 335 – 338.

دراسة شعر (ابن حربون)

إن الناظـر للمعاني التي طُرقت من قبل الشاعر في هـذه الأبيات الواردة من قبل يجدها قد سارت في فلك (المعاني التقليدية) المألوفة، سائراً في ذلك على نهج القدامى من الشعـراء، ومطبقاً الذوق العام، بل ومدركاً أن النقد قد توقف في هذه المرحلة عند قبول الشعر الذي يخضع لاعتبارات رسمية يمليها البلاط. وطالما أن هذا البلاط يقبل الشعر بهذه الصورة، بل ويصفق له، إذ كثـيراً ما نقرأ: (استحسن) و(منح جزيل العطاء)، أقول: طالما أن الأمراء –وهـم في الأعـم الأغلب من متذوقـي الشعر– قد قبلوا مثـل هذه المعاني التقليدية، فإن ذلك قد جعل الشاعر يمضي في هذا المجال، وهذا في الواقع مـا دفع (ابن سعيد المغربي) بعدم تدوين شعر (ابـن حربون) في (راياته)[1] لأنـه لم يغرب في معانيه، وهو قد ركز علـى (غرائب شعر المغرب...)[2]، نجده قد قال: «واشترطت مع هذا أن لا أورد منه إلا ما لم يسبقوا إلى معناه، أو استحقوه بزيادة، أو حسن عبارة أبرزته بعد تجويده في حلاه...»[3].

إن (ابن سعيد) (يتمسك تمسكاً صارماً بمقياس غرابة المعنى فيجعله الوحيد الـذي يشفع لوجود الشاعر وإثباته في مجموعـة)[4]، والأمر لم يتوقف عند كتابه (الرايات)، بل تعدى ذلك إلى (عنوان المرقصات) «فهو لا يرى الشعر شعراً ما لم يكن مخترعاً أو مولداً...»[5].

---

(1) واسمه: (رايات المبرزين وغايات المميزين)، وقد حققه وعلق عليه الدكتور محمد رضوان الداية.

(2) من: السابق، ص 37.

(3) مـن: السابـق، الصفحـة نفسها، وقـد سجل الدكتـور فوزي عيسى كلامـاً آخر في كتابـه: (الشعـر الأندلسي في عصر الموحدين). انظر ص226.

(4) من: الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، ص 226.

(5) من: السابق، ص 227.

إن هذا الموقف من (ابن سعيد) له مسبباته التراكمية، وهي مسببات علقت في ذهنه عن وضعية الشعر الأندلسي بشكل عام، والذي وصل إلى قمة الإبداع والتجديد في الصور والأخيلة، بل حتى في المعاني، إنه موقف نتج عن رأي (ذوقي)، مثله في ذلك مثل (ابن دحية والشقندي)[1]، وهو موقف ليس بالضرورة أن يكون صحيحاً، ذلك لأن الشعر يخضع لرؤى خاصة يراها الشاعر، وهو الذي يحددها إذا كان متملكاً من موهبته مثل (ابن حربون) والذي لم يتخذ من المقطعات الشعرية مركباً له، قدر تركيزه على القصائد ذات النفس الطويل، وهي قصائد لا تتضح فيها المعاني الجميلة، والصور الأخاذة إلا بعد جهد، وهو جهد لا يعتمد على الذوق العام قدر اعتماده على الفحص والتحليل، ومن ثم قراءة واقع الشاعر المعيش، وحالته النفسية، وواقع من يستمع لذلك الشعر، بل واقع العصر بشكل عام.

إن شاعر البلاط غير شاعر الجلسات الخاصة والمنادمة والإجازة، إنه شاعر يقف أمام الحشد من الناس الذين يختلفون في ثقافتهم ورؤاهم، ولذا فإن عليه مسؤولية مراعاة الأذواق المختلفة مع تطبيق القواعد المرعية بحق المكان والزمان والأشخاص مع عدم نسيان ما تمليه عليه الذات. إنه نتيجة لذلك يسير كلمته الشاعرة مراعاة لهذا الذوق وليفهمها الخاص والعام، إن هذا في نظري يعد كافياً لاندفاع موهبة (ابن حربون) إلى المطولات من الشعر لينقل فيها أخبار الدولة والوضع العام والخاص، كما أنه يعد دافعاً

(1) انظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 532 - 533.

لعـدم ميله إلى الغريب من القول قدر اعتمـاده على الثقافة والمعلومة العامة المفهومة والمستقاة من التاريخ والواقع، والحياة بشكل عام.

إن (ابن حربون) كان يعبر عن معانيه بوضوح، الأمر الذي جعل الغوص على الفكرة البعيدة والبحث عن الصورة الغريبة تقل عنده، مستغنياً عن ذلك بسعة المعلومة أحياناً، وبالميل إلى التحليل والتعليل والمناقشة في أحايين أخرى مثلما نجده عند غيره من الشعراء الأندلسيين أيام زهو الثقافة الأندلسية[1].

إن وضوح (المعنى) عند هذا الشاعر لا يعني سطحيته بقدر ما يعني قدرته على استخدام الأسلوب الأمثل والمؤثر في القلب بمعناه ولفظه[2]، ولأنه كان كذلك، فإنه يكفيه أن نال إعجاب البلاط الموحدي، دَلَّ على ذلك ما نجده من أقـوال في المصادر التي حوت شعره من مثـل: «فاستحسن أمير المؤمنين ذلـك، وأحسن إليه، وأجزل العطاء لديـه...»[3]، ومثل: «فاستحسن هذه الأبيـات.. مع ما تقدم من قصيد، وما ذكر فيه من المقصود...»[4]، ومثل: «فقال... قصيدة حسنة يمدح بها... وهذه هي...»[5]، ومثل: «استحسن الأمير -أدامه الله- لأبي عمر هذه القصيدة حين صاغ فيها المذهب المراد، وقصد فيها الاقتصاد، وسبق أصحابه الشعراء القصاد، وتقرب للأمير العزيز -أدامه الله- بأغراضه النبيلة، فعلا ذكره وشاد...»[6].

(1) انظر ما كتبه الدكتور الدايه عن الواقعية في شعر (الغزال) وذلك في: ديوان الغزال، ص 33 (مقدمة المحقق).

(2) انظـر ما كتب عـن اللفظ والمعنى، ودور الجاحظ والجرجـاني، وانقسـام النقاد حول هذه القضيـة في كتاب: (أسس النقد الأدبي عند العرب)، ص 357 وما بعدها.

(3) من: المن بالإمامة...، ص 352.

(4) من: السابق، ص 257.

(5) من: السابق، ص 329.

(6) من: السابق، ص 367.

إن هــذا الاستحسان من قبل السامع لما طرقه الشاعر لم يكن مقتصراً على (المعاني) حسب، بل على (ما سمعه)، وهذا السماع يمثل (الكلية)، بمعنى أنه سمع النص كاملاً دون الخوض في جزئياته، فأعجبه هذا النص، لأن شاعره ناقش قضية معينة أملاها الواقع، ولأنه كان واضحاً غير غامض، والروى هنا تتعلق بواقع الذواقة، إذ أن استحسان الأمير أو الحاكم غير استحسان (الناقد).

إن الشاعر إذا كان قد طبق ما يمليه عليه البلاط، فإنه وبكل تأكيد سيكون محل إعجاب من يملي عليه التعليمات وذلك مثل قوله مبتدئاً بنغمة خطابية:[1]

الحــمــد لله مــــدني شــاســـع الأمـــل

ونــاظــم الشمل في سلك مــن الجـذل

إذ أن الأمــير أبا يعقوب قــد «أمر أن يبتدئ الشعــراء فيها بالحمد لله على طريقة الكتابة»[2]، قال (المالقي): «استحسن الأمر لأبي عمر هذه القصيدة حين صاغ فيها المذهب المراد...»[3].

إن رغبة (ابن حربون) في التقرب من البلاط الموحدي قد أخضعت موهبته لمــا تمليه عليه نفسه أو ذاته، وبالتالي فقد كانــت أبياته ترجماناً حقيقياً لميوله ورؤاه وأهدافــه، ظهر لنا ذلــك في بعض أبيات (الوصــف) التي غالي فيها كثيراً، كما ظهر في أبياته المدحية، وكذلك في الأبيات التي تتحدث عن ذاته.

أعود، فأقول: إن (ابن حربون) قد اهتم (بالمعنى) ولكن ليس على حساب اللفــظ والوزن والقافية لأنه يدرك أن (المعنى) لا يمكن أن يكون وحده قوام

(1) انظر: السابق، ص 363.

(2) من: السابق: الصفحة نفسها.

(3) من: السابق، ص 367.

الشعـر[1]، قال (ابن رشيق): «الشعر يقوم بعد النيـة من أربعة أشياء، وهي: اللفظ والوزن والمعنى والقافية، فهذا هو حد الشعر...»[2].

إن شعر (ابن حربون) «معنى قبل أن يكون لغة أو صورة أو موسيقى...»[3]، وإذا كان كذلك، فإن ما يأتي بعد المعنى إنما هو تبع له، ولكنه لا يقل عنه، بل هـو مكمل له، الأمر الذي أدى إلى التحام الألفاظ بالمعاني عند هذا الشاعر، فكانت صورة للمعاني التي يقصدها، وهي صورة خارجية، والمعاني داخلية.

إن شاعراً مثل (ابن حربون) يحاول أن يجعل شعره مفهوماً وملبياً لرؤاه وكأنـه قد استلهم ما قال أبو عبـدالله وزير المهدي، عندما سئل عن الشعر، فقال: «خير الشعر ما فهمته العامة، ورضيته الخاصة...»[4].

إن الناظـر لشعره يجده ملبيـاً للأذواق، كما أنه لم ينسـ الذات الشاعرة وحاجتها، وبالتالي، فإننا لو أخذنا الأغراض معياراً، لقلنا: إن (ابن حربون) يعـد مثالاً للشعراء التقليديين[5]، ومع أنـه كذلك، إلا أنه لم يتتبع نهج شاعر معـين من الشعراء المشهورين في بـلاده أو في الشرق، بل مضى على النهج العـام دون الخروج عنه، وقـد زاد عليهم ما حوته بعض معـاني أبياته، من مبالغات تصل إلى مرحلة الغلو خاصة المدحية تأثراً بالتوجه العام الذي صبغ قصيدة المديح الموحدية بصبغة خاصة[6]، وكنا قد أشرنا إليها من قبل، وهي

(1) انظر: في عالم الشعر، ص12.
(2) من: السابق، الصفحة نفسها، نقلاً عن العمدة...، ج1، ص 119.
(3) من: السابق، الصفحة نفسها.
(4) من: العمدة...، ج1، ص 123.
(5) انظر: ابن هانئ المغربي الأندلسي...، ص 305 – 306.
(6) انظـر: الشعـر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس، صـ 109، وانظر مثل هذه المبالغات في قصائده المدحية في كتاب (المن بالإمامة...).

مبالغـات يصف فيها الممـدوح بصفات قد تقربه من صـور الأنبياء عليهم السلام[1]، كقوله مثلاً:[2]

فـجـاءك بـرهـان مـن الله صـادع
يـقـر بـه مـن لم يـزل وهـو جاحـد
هـي البـيعـة الـغـراء جـاءت يقـودها
إلـيـك مـن الأمـر الـسـماوي قائـد

إلى قوله:

وأبـيـض فـيـاض الـيـديـن مـبـارك
على وجهه من نـور ذي العرش واقد

وقوله في أخرى:[3]

انـظـر إلـيـه فـإن رؤيـة وجـهـه
تجلو الصـدى عـن قـلـب كـل موحّـد
مـا نـام قـيـام الـسـمـوات العـلـى
عـن شـأن قـوامٍ لـه متـهـجّـد
الحـق حـقـك مـالـه مـن دافـعٍ
واستشهد البيض الصـوارم تشهد

ثم قال:

لله مـشـهـد بـيـعـة بـويـعـتـهـا
فـالـديـن والـدنـيـا بـذاك المشـهـد

(1) انظر: السابق (الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس)، ص 109.
(2) انظر: المن بالإمامة، ص 246.
(3) انظر: السابق، ص 348.

في حيث ترتد العيون مهابة
عن ساطع من نورك المتوقد

وكقوله:[1]

إليه انتهى النور المبين الذي به
تبصر ضليل وأذعن مارد
هو المصطفى من صفوة بعد صفوة
وطيب الفرع أن تطيب المحاتد

إن معاني (ابن حربون) الشعرية قد تأثرت بالواقع الشعري في العصر الموحدي، فإذا كانت المبالغات قد ظهرت في بعض جزئياتها، فإن استيحاء قصص الأنبياء يمثل مظهراً آخر من مظاهر القصيدة الموحدية[2] في معانيها خاصة المدحية، فنجد أن ابن حربون يستلهم لقاء (موسى عليه السلام) بالخضر في بعض المواقف، مثل موقف اللقاء بين الأخوين على جبل الفتح كقوله مثلاً:[3]

(1) انظر: السابق، ص 246، وانظر ص 325 خاصة مطلع القصيدة، وانظر أخرى ص 329.

(2) انظر: الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس، ص 111.

(3) انظر: المن بالإمامة...، ص 254، والشاعر كشأن غيره من شعراء العصر الموحدي يرون أن هذه الدولة الموحدية هي المنقذ للمسلمين كما أنقذ موسى نبي الله بني اسرائيل من فرعون...، قال الشاعر متحدثاً عن الموحدين:

بكم تتكشف الغماء عنهم وينقع غلة الأرض الغمام
فلولاكم لكان الدهر ألوى جموعاً لا ينهنه لجام

وفي أخرى:

فأنطقتم بالشكر من كان مفحماً وجليتم بالنور من كان فاحما
وإني لأرجو للجزيرة كرة تعيد عليها عهدها المتقادما

انظر: المن بالإمامة، ص 335، وص 385 وقبلها انظر ص 253، وانظر ما كتبه الدكتور السعيد عن استحياء قصص الأنبياء خاصة (موسى) عليه السلام في كتابه الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس، ص 111.

لاقى الكليم على الشاطئ به خضراً

وفيه لاقى أخاه السيد السيد

صنوان ما اجتمعا في أرض أندلس

إلا ليحيي فيها دينه الأحد

يا من رأى الفلك فوق الموج طافية

كما كفأت قباباً وسطها العمد

إن من (المعاني) التي درجت في الشعر الموحدي الفخر بالأنساب العربية العريقة «وكان الموحدون يرفعون أنسابهم إلى قيس عيلان بن مضر»[1] ولذا نجدها ضمن شعر (ابن حربون)، قال:[2]

إذا ما انخت العيس في عرصاتهم

دنوت فصافحت العلا والمكارما

هم قيس عيلان الذين تلبسوا

بخلع الملوك الساقيات القوائما

فما منهم إلا على الهول مقدم

كذاك عظيم القوم يغشى العظائما

كما نجد أن (ابن حربون) قد تناول ضمن معانيه الشكوى من الدهر، وهي من المعاني التي ظهرت في الشعر الموحدي، كقوله:[3]

(1) من: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص 197.

(2) انظر: المن بالإمامة...، ص 386، وقبلها انظر ص 246، وص 337.

(3) انظر: زاد المسافر...، ص 131، وانظر: الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس، ص 240، وانظر ما كتبه عن (الدهر) ص 237 وما بعدها، وعن (الزهد) في ص 259 وما بعدها.

ما للزمان، ألا حر ينهنهه

يفري أديمي بأنياب وأظفار

نشدته حق آدابي فأشعرني

بأن ذنبي آدابي وأشعاري

وشكوى (ابن حربون) هنا كانت نتيجة حتمية لواقع قلق كان قد عاشه، وهذا في الواقع قد دفعه لإعلان اعتزاله عن الدنيا وبهجتها، على أن الاعتزال عن ملاذ الحياة كان يمثل توجهاً لدى معظم الشعراء في هذه الفترة، ولكنه في نظري يعد خاصة بالنسبة لابن حربون نتيجة لواقع عاشه، ففضل الابتعاد عن الحياة وبهرجتها، ليس زهداً فيها، لأن (الزهد) صفة من صفات من يكره ملاذ الدنيا وبهرجتها، وإنما لأنه قد سعى في الدنيا، ولكنه لم يوفق، فأعلن اعتزاله، كقوله من القصيدة نفسها:

فقد عزبت عن الدنيا وبهجتها

وقلت للنفس صبراً أم صبار

ما أصعب الفقر، لكني رضيت به

لما رأيت الغنى في جانب العار

إن الناظر لشعر الشاعر (ابن حربون) سيجده مرآة عاكسه لما كان عليه الشعر الموحدي[1]، وأيضاً لما كان عليه المفكر إبان هذه الفترة، وهذا في الواقع قد جعل (المعاني) التي تدور في فلك الشعر الموحدي تظهر في شعر الشاعر وإن لم تكن كلها، كما كان صورة قلقة لما كان عليه المفكر

(1) انظر ما كتب عن (ذوق العصر) في كتاب: (الشعر الأندلسي في عصر الموحدين)، ص 226 وما بعدها.

إذ ذاك، علـى أنه ينبغي أن نعرف أن أفكاره ومعانيه قد شملت كل همٍّ يراه ضروريـاً، وسواء تعلق به، أم بغيره، وسواء في مديحـه أم في وصفه، أم في أغراضـه الأخرى، فابن حربون لديه القدرة علـى تنويع هذه المعاني وتلك الأفكار لدرجـة أننا نرى تعددها في قصيدة واحدة جمع فيها بين (الغير)، و(الذات) مع الحديث عن الواقع، كقوله مهنئاً الأمير الموحدي بعد انتصاره على عدوه:[1]

قـد حصحص الحـق لا ريـب ولا فند
هـذي الفتوح التي كـانوا بها وعـدوا
خـــذوا بـحـظـكـم يـا أهـــل أنـدلـس
مـنـهـا فـمـا لـغـاو بـعـدهـا رشـد

وفي القصيدة ذاتها تحدث عن الأمير، فقال عنه:

هـــذا سـلـيـل إمـــام الحـــق بينكم
لا المـال مـدخـر عـنـكـم، ولا الـولـد
فـقـد ظـفـرتم بـفـيـاض مـواهـبـه
تحصى الحصى قبل أن يحصى لها عدد

وعن الأعداء، قال في القصيدة نفسها محذراً إياهم:

فـــالآن قـل لـــذوي الإلحـــاد شأنكم
فـمـا لـكـم دون هـذا الأمـــر ملتحد
وبـشـر الـعـجـم ان الـعـرب قـد دلفت
عـلـى الـعـراب وأن الملـتـقـى صـدد

(1) انظر: المن بالإمامة...، ص 253 وما بعدها.

وعن الجيش الموحدي قال في القصيدة ذاتها:

هـا إنـهـا كـالـدبـا تـنـسـاغ نـحوكـم

فيها الحـفـاظ وفـيـهـا الـصـبر والجلـد

تـرى الـكـمـاة الـتـي مـا شـانـهـا خـور

عـلـى الجـيـاد الـتـي قـد زانـهـا الجـيـد

ثم قال عن ذاته الشاعرة:

ودونـكـم مـن قـواف في مدحكم حبرا

تـبـلـى الـلـيـالي وهـن الـغـضـة الجـرد

صـدرن مـنـي بـحـكـم الـود عـن كبد

لـولا رجـاؤكـم قـد فـتـهـا الـكـمـد

وإذا كان قد عدد في معانيه وأفكاره، فإنه قد استطاع أن يرفد هذا التعدد بسعة المعلومة، إذ كان لثقافته الثرة سواء أكانت دينية أم تاريخية أم جغرافية أم لغوية...، كان لها أثر في غنى الأفكار التي تحملها تلك المعاني «وذلك إضافة إلى تجاربه الخاصة، ومشاهداته التي أمدته بوفرة المعاني وتعددها...»[1].

إن سعـة المعلومة، وذوق العصر قد أثرا في أسلوب الشاعر، ولذا نجده قد استعمل اللفظ المناسب للمعنى المناسب، إذ جاءت ألفاظه على قدود معانيه، فكان والحالة هذه على إدراك بقول أبي منصور الثعالبي: «البليغ من يحوك الكلام على حسب الأماني، ويخيط الألفاظ على قدود المعاني...»[2].

(1) من: (ابن معصوم المدني - حياته وشعره)، ص 227 رسالة ماجستير - مخطوطة - كلية اللغة العربية بالرياض.

(2) من: العمدة...، ج1، ص 128.

إن هذه القدرة الشعرية قـد جعلت شعره يستوعب ما حوله[1] من رؤى واتجاهـات، فمديحـه ووصفه وتهانيه، بـل وحتى حديثه عـن الذات قد عبر عن كل ذلك.

إن في ذلـك حكمـاً بدهياً، ولذا فإنه لن تعوزنـا الأمثلة من شعر الشاعر ولكـن لابد من الإشـارة إلى ذلـك. وإذا كانت ألفاظه قـد عبرت عن كل موقف بما يناسبه، فإن قصيدته في مجملها قد تأثرت بالدعوة الموحدية[2] في شكلها وبنائهـا، ظهر لنا بعض ذلك في تأثرها بالمعاني الموحدية، كما ظهر في أن الشاعـر قد تجنب في مطالعه ما يتعارض مع الأفكار الموحدية خاصة الغزليـة والخمرية، وآثر الابتداء بالخطاب المباشـر للمدوح، إذ نجد كلمات مثـل (لكم بعد حمـد الله...، بلجت بكم...، بسعدكـم...، يا خير...، هبني...، جاءتك...، طبع الإمام...، بسعدك...)، ولأنه قد آثر ذلك، فإن مطالعة كانت تهتم في عمومها بالمباشرة، كما ظهر لنا ذلك في نزول الشاعر عند رغبة الأمير الموحدي في الابتداء بأسلوب معين كالابتداء (بالحمد لله)، فقال[3]:

الحـمـد لله مـدني شـاسـع الأمـل

ونـاظـم الشمل في سلك مـن الجـذل

وإذا كان (ابـن حربـون) قد تأثر بالتوجه العام في قصيـده، فإنه أيضاً مع التقليدية في الشعر، فإذا كان قد باشر الموضوعات في مطالعه دون مقدمات

(1) انظر: الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، ص 78.

(2) انظر: السابق، ص 101.

(3) انظر: المن بالإمامة...، ص 363، وانظر: الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، ص 102.

تمهيدية، فإنه أيضاً قد يتطرق في أخرى لذكر الرحلة ووسائلها وما فيها من مشاق وذلك بعد مطلع بسيط لا يتعدى البيت أو البيتين على نحو قوله مخاطباً الأمير الموحدي:

لكم بعد حمد الله تهدى المحامد
وفي وصف علياكم تصاغ القلائد
فإن لكم حقاً على كل مسلم
ربما تقضي الحقوق القصائد

فبعد هذه المقدمة المباشرة، نجده قد عاد للحديث عن رحلة أناس من أهل الأندلس لمباركة هذه البيعة، وما لا قوة من مشاق الرحلة، قال[1]:

إليكم سرى من شلب ركب كأنهم
مطارد أو هم للخطوب طرائد
سروا فوق أعناق الشدائد نحوكم
وفي طلب العليا تهون الشدائد
لعمر علاكم إنها لمليئة
بما ضمنت عنها العتاق الجلامد

ثم قال

تجوب بهم جلباب كل دجنة
تكاد تضل القصد فيها الفراقد

إن حديثه عن الرحلة السابقة، جاء بعد مقدمة يسيرة لا تتعلق بها، بينما في أخرى نجد أن حديثه عن الرحلة قد جاء مباشرة دون مقدمات، وفي هذا

(1) انظر: المن بالإمامة...، ص 245، وانظر: الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، ص -103 104.

دلالة على أنه لم يستسلم في بعض الأحايين للقواعد الصارمة[1] التي كانت تصدر من الأمراء الموحدين للشعراء ووجوب تطبيقها، فعندما يكون شعره متعلقاً بذاته، فإننا نجده غير خاضع لتلك القواعد، قال:[2]

تجشمت هول البحر في طلب البحر
ولم أشك صرف الدهر إلا إلى الدهر
فقل للدياجي أغدقي أو تكشفي
فها أنا قد أمسيت في ذمة البدر

لذلك، أقول: إننا لا نشك أن قصيدة (ابن حربون) قد تأثرت بالتوجه العام، ولكنها لم تنس ذاتها، وهي ذات الشاعر، إذ لم تضع هذه الذات في سواد الغير، وهذا في الواقع جعله يخرج في أحايين عن الأطر التي يفرضها العصر إلى أطر أخرى يراها هو مناسبة لتتماشى مع عواطفه التي تعد «الأسس والينابيع التي يتفجر منها شعره...»[3].

إن هذا قد جعل رؤى شعره تتعدد وتتلون تبعاً لتلون وتعدد الأحاسيس التي يشعر بها، وتبعاً للموقف الذي يملي عليه هذه العواطف. ولأن العواطف مجموعة أحاسيس، فإن هذه الأحاسيس تتلون، وابن حربون قد مر بتجاريب عديدة، وهي تجاريب قد جعلت قصيدته مرآة عاكسة لها، كما هي عاكسة لأحاسيسه، ساعدته في ذلك لغة طيعة، وأقصد (طيعة) هنا، أي أنها تمضي حسب أحاسيسه، ولا أقصد غير ذلك.

(1) انظر: الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، ص 103.
(2) انظر: المن بالإمامة...، ص256.
(3) من: أسس النقد الأدبي عند العرب، ص 502.

إن عواطفه لم تظهر فقط في جزئيات معينة من القصيدة، بل ظهرت في كل جزئياتها بدءاً من مطلعها، وانتهاءً بانتهائها.

إنه في مطالعه قد ركز على كلمات وعلى حروف وعلى أساليب وجدها مناسبة للتعبير عن مكنوناته، وذلك مثل: (لكم، قد، يا، بأيمن، بسعدكم، بيمنكم، سلام، الحمد لله،...)، كما نجده قد نوع في الأفعال التي بدأ بها أول بيت من بعض قصائده بين أمر (حثوا، عللوا)، وماض (بلجت، وجد)، ومضارع (تجشمت)، وأحياناً قد يتخذ أسلوباً آخر فيبدأ بقوله: (هبني...)، إن (ابن حربون) بهذا الأسلوب قد طبق ما عناه (ثعلب)، عندما قال: قواعد الشعر أربع: «أمر، ونهي، وخبر، واستخبار...»[1] كما طبق بعض ما عناه بعضهم عندما قال: «إن قواعد الشعر أربع: الرغبة والرهبة والطرب والغضب...»[2]، وابن حربون قد رغب في مدح الأمراء الموحدين وشكرهم على عطائهم، وقد يكون أخفى شيئاً من الرهبة داخل ذاته منهم.

وإذا كنا قد أشرنا إلى شيء من مطالعه وعواطفه، فإننا لن نستطيع أن نحكم على شاعريته إذا لم ننظر في (جملته الشعرية)، فابن حربون وسعياً منه في أن يجعل لهذه الجملة وهجاً شعرياً، فإنه قد سعى لتزيين هذه الجملة «ببعض وسائل البلاغة لأجل زيادة تحسين اللفظ واكسائه بحلة قشيبة مونقة زاهية تترك أثراً ملحوظاً في نفس سامعها...»[3].

(1) من: قواعد الشعر، ص 31.

(2) من: العمدة...، ج1، ص 120.

(3) من: الشعر في عهد المرابطين الموحدين بالأندلس، ص 336.

إن (ابـن حربـون) قد استعـان في جملتـه الشعرية بالعديد مـن الألوان البلاغيـة خاصة (الطباق)، فقـد وردت في قصائده كلمـات، مثل (خطأ وصواب، يرجى ويهـاب، النفع والضرر، الليل والنهار، الغاوي والراشد، الجاهل والعالم، جاءوا وولوا، طائع ومعاند، الفناء، والبقاء، البلى والتجدد، الطوال والقصار، الكتمان والبوح، الريان والظمآن، كما وردت في أبيات أخرى كلمات متطابقة بالتتالي، مثل:[1]

بـعـدل أبـو يـعـقـوب: يـأمـن خـائـف

ويـجـبر مـنـهـاض، ويـصـلـح فاسد

ولأهمية هذا المحسن البلاغي عند (ابن حربون)، فإنه قد أدى دوراً مهماً في الربط بين صدر وعجز البيت، من مثل قوله:[2]

كـم كـتـمـنـا الجـوى فـلـمـا دنـونـا

بـاح هـذا الـنـسـيـم بـالأسـرار

إن الشاعـر قد أكثر من استخدام (الطبـاق) في قَصِيده، ولعله يقصد من ذلـك إلى مـا هو أبعد من التطابق أو الطباق، إنـه يقصد المقارنة بين ما كان ومـا هو كائن، بمعنى أنه استخدم اللون البلاغي (الطباق) ليظهر الفرق بين فترتين عاشتها الأندلس والمغرب، أيام المرابطين والموحدين.

وبعد الطباق كمحسن بلاغي، يأتي (التشبيه) ليحاول من خلاله أن يثبت مكانة الممدوح ودوره، ووضع البلاد، وكيف أصبحت...، ومن وفد إليه.

(1) انظر: المن بالإمامة...، ص 248.

(2) انظر: السابق، ص 287.

إننا إن تتبعنا هذا المحسن، نجده قد احتل مكانة متميزة في قصيدة الشاعر، إذ حاول من خلاله أن ينقل لنا مشاهد عاشها أو رآها ليختلط هذا المحسن مع محسنات أخرى كالاستعارة والكناية والتورية لتكوِّن كلها مجتمعة صورة، نجده مثلا قد قال عن (أهل شلب):

إليكم سرى من شلب ركب كأنهم
مطارد أو هم للخطوب طرائد
سروا فوق أعناق الشدائد نحوكم
وفي طلب العليا تهون الشدائد

وعن (الأمير الموحدي) والبيعة قال بشيء من الغلو:

فجاءك برهان من الله صادع
يقرّ به من لم يزل وهو جاحد
هي البيعة الغراء جاءت يقودها
إليك من الأمر السماوي قائد
تسربلها من سرّ قيس محبَّب
إلى الناس ميمون النقية زاهد

وقال:

هو المصطفى من صفوة بعد صفوة
وطيب الفروع أن تطيب المحاتد

وقال في أخرى:[1]

سرى عنكم ببحر مكفهر

يصب على العصاة به العذاب

تسير الشمس شيقة إليه

كأن الطير بينهما حجاب

وقال:

إذا ركع الوشيج على الهوادي

فقد سجدت له الشم الهضاب

وعن الناس حوله:

كأن الناس من خطأ وأنتم

أدام الله أمركم صواب

وعن بلاط ومقر ملكه، نجد الشاعر قد شبهه بالكعبة، قال:[2]

حتى تزوروا كعبة الفضل التي

قد أحسنت بركاتها زوارها

فإذا استلمتم بالسلامة ركنها

فارموا بأخفاف المطي جمارها

وعن كرمه، قال:

تجشمت هول البحر في طلب البحر

ولم أشك صرف الدهر إلا إلى الدهر

(1) انظر السابق، ص 262.

(2) انظر السابق، ص 265

فقل للدياجي أغدقي أو تكشفي

فها أنا قد قد أمسيت في ذمة البدر

وعن مجالس الأمراء الموحدين المعمورة بالعلم، قال[1]:

مجالسهم روضات نجد يزينها

من النور أجناس توأم وفارد

مجالس لو ترقى الكواكب نحوها

لقد بات تلميذاً لديهم عطارد

لقد عمرت بالعلم حتى كأنها

لكثرة ذكر الله فيها مساجد

وعن الجيش الموحدي، قال:

ها، إنها كالدّبا تنساغ نحوكم

فيها الحفاظ وفيها الصبر والجلد

وعن الأعداء، قال:

لقد أيقنوا أن الحتوف مصادر

غداة رأوا أن الشفار الموارد

فجاءوا كما جاءت أسود بواسل

وولّوا كما ولّت نعام شوارد

كتائب كالخامات قاموا، فأصبحوا

وهم للسيوف المرهفات حصائد

(1) انظر السابق، ص 247.

وغير التشبيه وقبله الطباق نجد بعض المحسنات الأخرى مثل (الجناس)، فقد وردت كلمات مثل (عرب وعراب، وقطار وفطار، وأنوار وأوار...).

على أن الشاعر قد اهتم في قصيده (بالتصريع)، وقد فعل ذلك «الفحول المجيدون من الشعراء القدامى...»[1] قبله، ولاهتمامه بالتصريع فقد ابتدأ قصائده كلها به عدا ثلاث مقطعات شعرية، وهي مقطعات قيلت في مناسبات لا تتطلب إثبات شاعريته قدر إثبات طلبه أو ما طلب منه، وهي تلك التي تناول فيها طلب أو لفت انتباه لموضوع خاص يقصده من قبل الأمير، أو التعبير عن موضوع ماثل أمامه فلا يحتاج إلى قدرات أو إثبات شاعرية، تلك المقطعات التي قال في أوائلها:[2]

يا خير من عبدالرحمن، عبدكم

يشكو إليكم فراق الأهل والولد

وقوله:[3]

هبني نبت بي أوطاني لبعدكم

أفي جواركم ينبو بي الوطن؟

وقوله في وصف السيف وهو أمام الأمير الذي يعرف شاعريته:[4]

طبع الإمام من الاسنة لهذما

لم يعهدوه في أسنة معضب

---

(1) من: معجم البلاغة العربية، م1، ص 415.

(2) انظر: المن بالإمامة...، ص 325.

(3) انظر: السابق، الصفحة نفسها.

(4) انظر: السابق، ص 351.

إن (ابـن حربون) قد صـرع مطالع قصائـده الطوال، وقد يُصـرِّع أبياتاً أخرى مـن القصيدة غير مطلعها، ليدل على اقتداره وسعة بحره[1]، كقوله بعد مطلع وستة أبيات:[2]

ولــولا خـطـوب أخـرتـنـي لم يفد

عـلـى الحـضـرة الـعـلـيـاء قـبـلـي وافـد

وفي أخرى قال بعد المطلع، وبعد ستة وثلاثين بيتاً:[3]

صــدرن مـني بـحـكـم الـود عـن كبد

لــولا رجــاؤكــم قـد فـتَّـهـا الـكـمـد

إن اهتمـام الشاعر (بالتصريع) يدل على أنـه كان يملك مادة شعرية ثرة، ولكي يدل على تلك المادة نجده قد اهتم به دون تكلف، فهو عنده لا يتعدى البيتين في القصيدة الواحدة، وقد يكتفي بالمطلع، وقد يزيد بيت واحد على البيتين لكنها غير متتالية، بل متناثرة في القصيدة، »إذ يأتي به اخباراً وتنبيهاً عليه«[4]، ومشعراً الآخر «بأن بنية الشعر إنما هي التسجيع والتقفية»[5]، ورد في عمـدة (ابن رشيق) «أن الشاعـر إذا لم يصرع في قصيدته كان كالمتسور الداخل من غير باب...»[6]، قال أبو تمام[7]:

وتـقـفـو لي الجــدوى بـجـدوى، وإنمـا

يـروقـك بـيـت الـشـعـر حـين يُـصـرَّع

(1) انظر: معجم البلاغة العربية، م1، ص 315.
(2) انظر: المن بالإمامة...، ص 246.
(3) انظر: السابق، ص 256.
(4) من: معجم البلاغة العربية، م1، ص 417.
(5) من: السابق، ص 416 نقلاً عن (العمدة ص 174).
(6) من: العمدة...، ج1، ص 177، وانظر: السابق في رقم (5)، ص 417.
(7) انظر: معجم البلاغة العربية، م1، 417، وقبله انظر: العمدة...، ج1، ص 176.

ولأن (التصريع) نعت من نعوت القوافي[1]، فإن هذا الأمر يوصلنا للحديث عن قوافيه، فنجد أن الشاعر قد ركز في رويّه على حروف خاصة، من مثل:

- الباء وقد تكرر في قصيده ثلاث مرات.
- الدال وقد تكرر في قصيده أربع مرات.
- الراء وقد تكرر في قصيده أربع مرات.
- اللام وقد تكرر في قصيده مرتين.
- الميم وقد تكرر في قصيده مرتين.
- النون وقد تكرر في قصيده مرتين.
- الهاء وقد تكرر في قصيده مرتين.
- الياء وقد ورد في قصيده مرة واحدة.

وهي من (الذُلل) التي تكثر على الألسن[2]، وقافيته بشكل عام متحركة غير جامدة، إذ نلحظ أنه فيها لا يجنح إلى الروي الساكن، لتكون متحركة كتحرك صاحبها، ولتمثل قلقه الداخلي على ذاته وعلى بلاده.

أوزانه:

لقد سارت قصيدة الشاعر وفاق الأوزان الآتية والمرتبة حسب كمية الأبيات لتمثل لنا المجموع الكلي للأبيات الذي ذكرناه من قبل:

(1) من: السابق (معجم البلاغة...)، ص 415.

(2) انظر: ابن هانئ المغربي الأندلسي...، ص 309.

البحر	عدد الأبيات
الكامل	174 في خمس قصائد
الطويل	120 في ثلاث قصائد
البسيط	108 في خمس قصائد
الوافر	97 في ثلاث قصائد
المتقارب	41 في قصيدة واحدة
الخفيف	27 في قصيدة واحدة
الرمل	2 في مقطّعة واحدة
المجموع: 569 بيت في سبع عشرة قصيدة ومقطعة واحدة.	

والملاحظ غلبة البحور المتينة الوفيرة المقاطع في عدد أبياتها كالكامل والطويل والبسيط[1] يليها (الوافر)، ثم يأتي بعد ذلك: المتقارب فالخفيف، وأقلّها (الرمل)، وقد يلجأ إلى مخلّع البسيط[2].

معجمه الشعري:

لقد سار (ابن حربون) في معجمه الشعري على نهج متاح، إذ ترك العنان لألفاظه لتعبر عن رؤاه في مثل هذه المرحلة من الحياة الفكرية، ومن هنا فإننا نجد أن هذا المعجم قد تنوع «متأثراً بعوامل خارجية اجتماعية وثقافية وسياسية، إلى جانب المؤثرات الشخصية..»[3]، فكان قد حوى:-

(1) انظر: السابق، ص 311، وقد تحدث في هذه الجزئية عن «أوزان ابن هانئ المغربي...».

(2) انظر: الحلة السيراء...، ج2، هامش ص 201، وفيه (8) أبيات، ونضيف إليها بيتين في تحفة القادم. انظرهما ص63.

(3) من: الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس، ص 345.

* مفـردات دينية، مثـل: الحمد لله، الصـلاة، المسلم، الديـن، الجهاد، برهـان من الله، الأمـر السماوي، الزهد، التبتل، نـور ذي العرش، العابد، المصطفـى، ذكـر الله، المساجد، نعم المولى، وعد الله، جنـود الله، أدام الله، أمركـم، الكعبـة، الحجة والاعتمـار، الكتاب المنـزل، النبـي المرسل، الله يشكر سعيكـم، الإله، تبـارك الرحمـن، خليفة الرحمـن، عبدالرحمن، الحـلال والحـرام، ولي الله، البلـد الحـرام، الله، التقوى، المصحـف، قيام المسوات العلى، المتهجـد، النبي محمد، الشريعة، المؤمنون، القرآن، الصلاة والتسليم على الرسول الذي استوفى مدى الرسل...

* مفـردات مكانيـة، مغربيـة ومشرقية، فقـد ذكر، شلـب، الصحراء، البحر، الحضرة العلياء، نجد، المساجد، شنيل، رأس رضوى، أندلسي، مجمع البحرين، جبل ثهلان، اليرموك، جبل الفتح، المغرب الأقصى، باب الأمير، رباط الفتح، أرض العدوتين، صنهاجة، يلملم، تهامة، الكعبة...

* مفـردات استلهم فيهـا الشاعر معاني بعض الآيـات القرآنية الكريمة، كقولـه مثـلاً: (لهـا طرائـق في هاماتهـم قـدد)، وقولـه: (إلا تلقـاه من خرصانهـا رصـد)، وقولـه: (بجيوش جاست خـلال الديـار)، وقوله: (فوجدنا من ريـح يوسف..)، وقوله: (فاصدع أمـير المؤمنين بدعوة..)، وقوله: (الحق حقك ما له من دافع..).

* مفـردات استلهـم فيهـا اسـم بعض الشخصيـات المهمـة، وهذه الشخصيات قد تكون لأنبياء، أو أبناء الأنبياء، فقد ورد ذكر اسم محمد صلى

الله عليه وسلم، وموسى وعيسى ويعقوب ويوسف، وأبناء نوح عليه السلام كحـام وسام، وقد تكون تاريخيه كالفاروق والاسكندر والمهدي وكسرى وقيصر، وقيس عيلان، وقد تكون أسماء ملائكة كجبريل عليه السلام، وقد تكـون أسماء لصالحين كلقمان والخضر، وقد تكـون هذه الأسماء للأعداء كالمردنيشي وابن الرنك، أو للأمراء الموحدين كأبي حفص وإخوته.

* مفـردات استلهم فيها بعض أسماء النجوم خاصة عطارد، والسماك، أو البروج كسعد السعود والحمل.

* استلهام بعض المسائل التي تدور على ألسنة البلاغيين والنقاد كمسألة (اللفظ والمعنى) واتحادهما ودلالاتهما، فقد قال معبراً عن وحدة الأمة تحت إمرة الخلافة الجديدة:[1]

جـمـعـتـم مـن بـنـي قـيـس شـعـوبـاً
تـسـيـل بـهـا المـحـاني والـشـعـاب
تجـانـس جـيـشـهـم لـفـظـاً ومـعـنـى
فـهـم عـــرب، وخـيـلـهـم عـــراب

* الاستلهام من بعض المخزونات الشعرية، فنجده قد قال[2]:

الـيـوم نـام الـديـن مـلء جـفـونـه
عـن حـزم يـقـظـان الجـفـون مسهد
وقـــاد الحـــاظ الـعـزيـمـة صـارم
والـشـمـس نـاظـرة بـعـين الأرمـــد

(1) انظر: المن بالإمامة...، ص 263.
(2) انظر السابق..، ص 349.

فالبيت الأول خاصة يذكرنا بقول الشاعر المشرقي (المتنبي)، وهو يتحدث عن ذاته في علو مثبتاً إياها أمام سيف الدولة الحمداني:

أنـــام مـــلء جـفـوني عـن شـــواردهـا

ويـســهـر الخـلـق جـراهـا ويختصم

المعجم الشعري ودوره في تكوين الصورة

إذا كانت النبتة تشكل مع الأخرى التي بجانبها لوحة وهكذا حتى تتكون حديقة غناء، فإن الألفاظ مع بعضها تكون تلك اللوحة، وهذه اللوحة تزداد جمالاً وبهـاءً كلما ازدادت العناية بها، والعنايـة من قبل الشاعر تتمثل في حسن اختياره للعبارات المناسبة، وهذا في الواقع لن يتأتى له ما لم يكن يملك مخزوناً لغوياً وثقافياً جيداً، إضافة لإدراكه للواقع المحيط به، و(ابن حربون) -ومـن خلال حديثنا عن معجمه وبعض مخزونه- نجده يملك القدرة على تكوين الصورة، أشرنا لبعضـ ذلك عند حديثنا عن (المحسنات البلاغية)، وهـي صور عبرت عن رؤاه. إننا إن وقفنا عند تلك الصور نجدها قد نقلت لنا مشاهـد عاشها الشاعر في حضرة الأمـراء الموحدين، الأمر الذي جعل قصيدتـه تحمل كثيراً من المعاني الموحدية، كما نقلت مشاهد أخرى لتحمل معان يراها هو، وهي معان قد تكون ذاتية أو إنسانية.

إننـا ونحن نتتبـع (ابن حربـون) في القصائد التي عثرنـا عليها وحوتها الكتب التاريخية نشعر أننا أمام شاعر حاول من خلال صوره وما تحويه من مشاهد نقل (تجربته الشعرية) وهـي تجربة اتحدت في نقلها الصور والمعاني

والألفـاظ والأوزان والقوافي ليمثل من خلال هذه التجربة مرحلة تاريخية وفكرية مرّت بها بلاده (الأندلس) كما مرت بها (أرض العدوة)، وهذا ما جعلنا نتناوله كشاعر من شعراء الأدب التاريخي.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

فهرس
المصادر والمراجع

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

أولاً: الكتب

ابن الأبار، أبو عبدالله محمد بن عبدالله القضاعي المعروف بابن الأبار:

تحفـة القادم. أعاد بنـاءه وعلق عليه الدكتـور إحسان عباس. ط1. بيروت، دار الغـرب الإسلامي، 1406هـ.

كتـاب الحلة السيراء. حققه وعلق حواشيه د. حسين مؤنس. ط 1. القاهرة، الشركة العربية للطباعة والنشر، 1963م.

أرسلان، شكيب...:

الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية. بيروت، دار مكتبة الحياة.

الأوسي، د. حكمة...:

الأدب الأندلسي في عصر الموحدين. القاهرة. مكتبة الخانجي.

بدر، د. عبدالمحسن...:

حول الأديب والواقع. ط 2. مصر، دار المعارف.

بدوي، د. أحمد...:

أسس النقد الأدبي عند العرب. القاهرة. دار نهضة مصر.

البكري، أبو عبيد...:

جغرافيـة الأندلس وأوروبا (من كتاب المسالك والممالك). تحقيق الدكتور عبدالرحمن علي الحجي. ط1، بيروت، دار الإرشاد للطباعة والنشر، 1387هـ.

البليهد، حمد بن سعود...:

ابـن معصوم المدني 1052 – 1120هـ. رسالة ماجستير مخطوطة الرياض، كليـة اللغة العربية – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية 1422هـ.

ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى...:

قواعد الشعر. حققه وقدم له وعلق عليه الدكتور رمضان عبدالتواب. ط 2. القاهرة، مكتبة الخانجي، 1995م.

الجراري، د. عباس...:

الأمير الشاعر (أبو الربيع سليمان الموحدي – عصره، حياته وشعره).. ط 1، الدار البيضاء، دار الثقافة، 1394هـ.

فنية التعبير في شعر ابن زيدون، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 1977م.

الحجي، الدكتور عبدالرحمن علي...: ا

لتاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (92-897هـ). ط 1، القاهرة، دار الاعتصام، 1403هـ.

حفني، د. عبدالحليم...:

مطلع القصيدة العربية ودلالته النفسية. القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987م.

الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله..:

معجم الأدباء. ط 3، بيروت، دار الفكر، 1400هـ. معجم البلدان، بيروت، دار بيروت ودار صادر، 1399هـ.

الحميري، أبو عبدالله محمد بن عبدالله..:

صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار. نشره وصححه وعلق حواشيه ليفي بروفنسال. ط 1، بيروت، دار الجيل، 1408هـ.

الداية، د. محمد رضوان...:

ديوان يحيى بن حكم الغزال. ط 1، دمشق، دار قتيبة، 1402هـ.

الرصافي البلنسي، أبو عبدالله محمد بن غالب...:

ديوان الرصافي البلنسي... جمعه وقدم له د. إحسان عباس. ط 2، بيروت، دار الشروق، 1403هـ.

الرقب، شفيق محمد...:

شعر الجهاد في عصر الموحدين. عمان، مكتبة الأقصى، 1404هـ.

رومية، د. وهب أحمد...:

شعرنا القديم والنقد الجديد. الكويت، سلسلة عالم المعرفة الكويتية، شوال، 1416هـ.

السعيد، د. محمد مجيد...:

الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس. بغداد، وزارة الثقافة والإعلام ودار الرشيد، 1980م.

ابن سعيد المغربي، علي بن موسى...:

- رايات المبرزين وغايات المميزين. حققه وعلق عليه الدكتور محمد رضوان الداية، ط، دمشق، دار طلاس، 1987م.

- المغرب في حلي المغرب. حققه وعلق عليه الدكتور شوقي ضيف. ط 3، القاهرة، دار المعارف.

شلش، د. علي...:

في عالم الشعر. مصر، دار المعارف.

الشنتريني، أبو الحسن علي بن بسام...(543هـ):

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة. تحقيق د. إحسان عباس. بيروت، دار الثقافة، 1399هـ.

ابن صاحب الصلاة، عبدالملك...:

تاريـخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين. السفر الثاني. استخرجه وقدم له وحققه عبدالهادي التازي. ط 1، بيروت دار الأندلس، 1383هـ.

ضيف، د. شوقي...:

في النقد الأدبي. ط 6، مصر، دار المعارف.

طبانة، د. بدوي...:

معجم البلاغة العربية. ط 1، الرياض، دار العلوم، 1402هـ.

عباس، د. إحسان...:

تاريـخ النقـد الأدبي عند العرب (نقـد الشعر من القرن الثـاني حتى القرن الثامـن الهجري): ط 2، بيروت، دار الثقافة، 1398هـ.

فن الشعر. بيروت، دار الثقافة.

عنان، د. محمد عبدالله...:

عصـر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس – القسـم الأول والثاني. ط 1، القاهرة. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1383هـ.

عيسى، د فوزي سعد...:

الشعر الأندلسي في عصر الموحدين. الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية..

فروخ، د. عمر

تاريخ العلوم عند العرب. ط 4 بيروت، دار العلوم للملايين، 1984م.

فهمي، د. عزيز...:

المقارنة بين الشعر الأموي والعباسي في العصر الأول. تحقيق وتقديم محمد قنديل البقلي. القاهرة، دار المعارف.

القزويني، زكريا بن محمد...:

آثار البلاد وأخبار العباد. بيروت.

القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق...: ا

العمـدة في محاسن الشعر وآدابـه ونقده. حققه وفصله وعلق حواشيه محمد محيي الدين عبدالحميد. ط 5، بيروت، دار الجبل، 1401هـ.

الكتبي، ابن شاكر...:

عيون التواريخ، تحقيق فيصل السامر ونبيله داود. بغداد 1977م.

المراكشي، عبدالواحد...:

المعجب في تلخيص أخبار المغرب. صححه محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي. ط 1، القاهرة،

مطبعة الاستقامة، 1368هـ.

المراكشي، ابن عذارى...:

البيـان المغرب في أخبار الأندلـس والمغرب. تحقيق ومراجعة ج. س. كولان، وأ. ليفي بروفنسال. ط 3، بيروت، دار الثقافة، 1983م.

المرسي، أبو بحر صفوان بن إدريس التجيبي...:

زاد المسافـر وثمرة محيا الأدب السافـر. أعده وعلق عليه عبدالقادر محداد. بيروت، دار الرائد العربي، 1980م.

المقري التلمساني، الشيخ أحمد بن محمد...:

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب. تحقيق الدكتور إحسان عباس. بيروت، دار صادر، 1388هـ.

مؤسسة الملك عبدالعزيز للدراسات الإسلامية...:

تراث الأندلس – تكشيف وتقويم: 1 لوائح المؤلفين والمؤلفات، الدار البيضاء، 1414هـ.

هلال، د. محمد غنيمي...:

النقد الأدبي الحديث. القاهرة، دار نهضة مصر.

الورقي، د. السعيد...:

لغـة العشر العربي الحديث – مقوماتها الفنية وطاقاتهـا الإبداعية. ط 3، بيروت، دار النهضة العربية، 1404 هـ.

اليعلاوي، محمد...:

ابن هانئ المغربي الأندلسي -320 362 شاعر الدولة الفاطمية. بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1405هـ.

ثانياً: البحوث

عويس، د. محمد...:

أدب التأريخ – دراسة في المصطلح والإطار النظري. الرياض. مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ع 1، رجب 1409هـ.

ثالثاً: الرسائل العلمية

المادة الأدبية في المصادر التأريخية الأندلسية من القرن الخامس إلى نهاية القرن السابع الهجريين. رسالة دكتوراه مرقومة بالآلة الكاتبة أعدها عبدالله بن علي بن ثقفان..، 1408–1409هـ.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

سيرة ذاتية

د.عبد الله بن علي بن ثقفان، أستاذ الأدب في كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في مدينة الرياض. حصل على درجة الماجستير عام 1403 هـ عن رسالته (ديوان أدب السلوك)، ونال درجة الدكتوراه عام 1409 هـ عن رسالته (المادة الأدبية في المصادر التأريخية الأندلسية).

بحوثه ومؤلفاته:

- الأدب التأريخي في الأندلس.
- دور(الرمز) في الفكر الأندلسي.
- أدب الصحراء في أرض الأندلس الخضراء.
- الازدواجية في شخصية المفكر العربي – الأندلسي أنموذجاً.
- الأدب الإقليمي في الأندلس.
- أدباء أندلسيون مغمورون (سلسلة).
- المجالس الأدبية في الأندلس.
- الانتماء في الأدب الأندلسي (أنموذج فريد) .
- الشكوى من العلة في أدب الأندلسيين.
- الأدب الأندلسي بين حقيقته ومحاولة اغتياله..
- بحوث ودراسات أندلسية.
- المقومات الفنّية في القصيدة الأندلسية.
- الأدب الموريسكي (قراءة في المتاح).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

أبو عمر أحمد بن حربون:

- شاعر لم ينل حظه على الرغم من شاعريته.

- كاتب لم تسلط الأضواء على كتابته على الرغم أنه من جملة كتاب الموحدين.

- مؤرخ دوَّن التأريخ في شعره، بل جعل التأريخ شعراً.

هو بالرغم من كل ذلك من شعراء أرض الأندلس الذين ضرب التاريخ صفحاً منهم، فلم يدون أخبارهم قدر ما دون أشعارهم التي تمضي مع أيامه وزمانه، أيام كان الزمان يمضي مع الناس، أو العكس، ولم يذكرهم إلا بإشارات بسيطة، ولهذا، فإن الكتيب يحاول أن يظهر شيئاً أو أشياء تدور حول (ابن حربون) وذلك من خلال العودة لمصادر أساس تحدثت عن العصر وعن شخصياته..

جمعت هذه الأشياء من كتب وبحوث شتى، فكان هذا الكتيب الذي يرجو صاحبه أن يَسدَّ به -مع بقية من سلسلة يتبناها للكشف عن المغمورين- فراغاً في المكتبة الأندلسية ملتمساً العون من خالقه، فهو نعم المولى ونعم النصير.